المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٢ محرم سنة ١٣٢٠

خرائب الشام

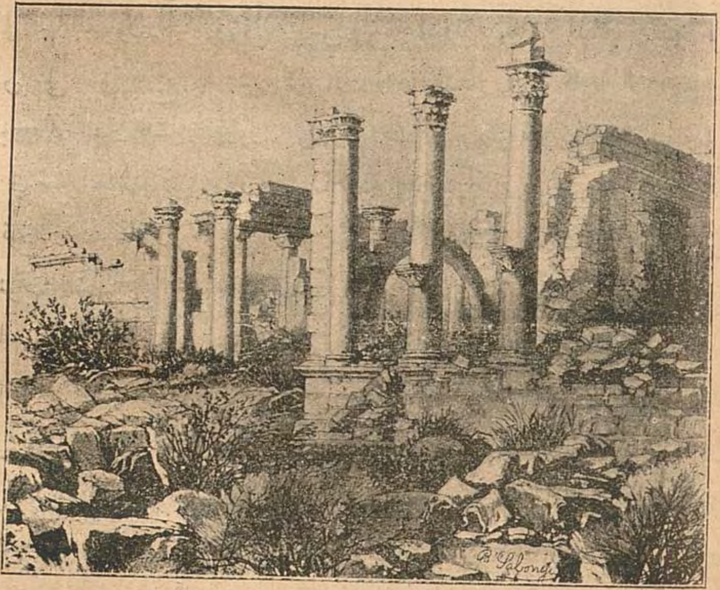

(٢) قنوات

قال لنا اديب كان المقتطف ينشر بالامس المقالات الضافية عن عمران دمشق فلم يكد يأتي على آخرها حتى شرعتم تنشرون المقالات عن خرائب الشام كلهِ فما اسرع هذا الانقلاب. والظاهر ان القائل لم يقرأ مقالات العمران ولو قرأها لرأى انها ومقالات الخرائب من باب واحد لان اكثر ما فيها وصف للخراب الذي حلَّ بعاصمة الشام وما حولها من الارباض لا لعمران

نشأَ فيها وانتشر منها . وكيف تعمر بلاد كان سكانها بين عشرة ملايين وعشرين مليونًا وهم لا يبلغون الآن مليونين . وكان اولئك الملايين يعيشون بالسعة والرخاء والمليونان اضطرَّ كثيرون منهم ان ينتشروا في الخافقين طلبًا للرزق وبلادهم كانت تقري اضعاف اضعافهم . ولكن

ستمضي مع الايام كلُّ غريبةٍ وتحدث ايَّام تنسّي المعايبا

هذا ولنعد الى الكلام على خرائب الشام فنقول: ذكرنا في الجزء الماضي خرائب جرَش من المدن العشر التي كانت شرقي الاردن ونحن ذاكرون الآن خرائب قنوات وهي مدينة اخرى من تلك المدائن وقد اخترنا ان ننقل وصفها عمَّا كتبهُ الدكتور القس بورتر في كتابهِ المعروف بمدن باشان العظمة Giant Cities of Bashan لانهُ ابلغ ما قرأناهُ في هذا الموضوع قال

بلغنا اكمة تطلُّ على قنوات فرأينا عن اليسار واديًا عميقًا وعلى جانبهِ الغربي خرائب المدينة القديمة وسورها يتبع الشواهق مسافة ميل ثم ينعطف متعرّجًا فيكتنف ارضًا عرضها نصف ميل فيها القصور والهياكل والكنائس والمشاهد وما ماثلها من المباني الفخيمة قائمة بعضها بازاء بعض على نسق بديع يدهش الابصار . ووراء السور في اسفل الوادي وعلى الجبال المحيطة بهِ — في القنن الشاهقة وبين حراج البلوط اعمدة رفيعة وابراج مشيدة ومدافن عالية

جاء في سفر العدد (من اسفار موسى الخمسة) انهُ لما كان بنو اسرائيل شرقي الاردن "ذهب نوبح واخذ قناة وقراها ودعاها نوبح باسمهِ" هذه هي قناة نفسها سماها اليونان قناثا والعرب قنوات بلغت اوج مجدها في عهد الرومان وكانت من اعظم المدن شرقي الاردن ثم لما انتشرت الديانة المسيحية تنصَّر اهلها وحوَّلوا هياكلها كنائس لكنها خربت بعد الفتح الاسلامي وقُتل سكانها او هجروها فلم يعنَ المسلمون بجعل كنائسها مساجد كما فعلوا في غيرها من مدن الشام

مضى يومنا وجانب من اليوم التالي ونحن ننتقل من خرابة الى خرابة فرأينا ان الجانب الاعلى من المدينة كان لعلية سكانها هناك قصر فخيم وثلاثة هياكل وميدان لسباق الخيل مزدان بكثير من التماثيل . لم ارَ في مدينة أُخرى من مدن فلسطين تماثيل قدر ما رأيتُ في هذه المدينة لكنها كلها مشوَّهة او مقطعة الاوصال وبينها تماثيل اسود وفهود وكلاب ورأيت هناك رأسًا عظيمًا للالاهة عشتاروث امام هيكل صغير والهلال فوق جبينها ومن ثمَّ سميت بعشتاروث قرنايم اي ذات القرنين. جاء في سفر التكوين ان ملوك المشرق ضربوا الرفائيين في عشتاروث قرنايم فلعلهم ضربوهم في هذه المدينة عينها. وامام القصر ساحة فسيحة تحتها صهريج كبير سقفهُ معقود كانت المياه تجري اليهِ بقناة منحوتة في جانب الوادي فيجتمع فيهِ منها ما يكفي المدينة فصل الصيف وغربي المدينة على ربع ميل منها هيكل جميل يحيط بهِ رواق من العمد الكورنثية وهو

قائم على اكمة صناعية وقد سقط اكثر هذه الاعمدة وتصدَّعت جدران الهيكل ولكن بقي منها ومنهُ ما يكفي للدلالة على عظمتهِ السابقة

وبكَّرنا في الصباح ونزلنا بطن الوادي لنرى ما فيهِ من الخرائب وصعدنا على شاهق مرتفع في الجانب الآخر منهُ فرأينا هناك برجاً مستديراً وآثار سور كبير وظهر لنا كأن بطن الوادي كان رياضاً ومنتزهات لاننا رأينا فيهِ المماشي المدرَّجة والفساقي المنسقة وكراسي التماثيل وهيكلاً صغيراً ومشهداً ساذجاً مقاعده منحوتة في الصخر وفوق دكتهِ كتابة يونانية كبيرة الحروف يقال فيها ان مرقص لوسياس بناهُ على نفقتهِ ووهبهُ لابناء وطنهِ . ويصعد من هذا المشهد بسلم منحوت في الصخر الى البرج المستدير فصعدنا اليهِ ورأينا ما وفى بتعبنا وقيامنا الباكر وهو ضخم الحجارة قديم البناء لم يبقَ منهُ الاَّ ما ارتفاعهُ عشرون قدماً وعلى مقربة منهُ بقايا قصر مبني بحجارة كبيرة منحوتة واغلاق ابوابهِ وكواهُ من الحجر كلها وهي كثيرة النقش عليها اكاليل بارزة من الازهار والاثمار . لكن الذي ادهشنا ليس القصر وما فيهِ بل منظر البلاد الذي شاهدناهُ منهُ . جلستُ على حجر هناك واجلتُ طرفي في ما ارى امامي فاذا هو من ابدع ما وقعت عليهِ عيني . وقفت على قنن لبنان وشاهدت من كثير منها مشاهد اعظم من هذا وارهب وعلى رأس قلعة تدمر فرأيت تحتي من الخرائب والاطلال والانقاض مالا مثيل لهُ ههنا في العظمة والفخامة . وتطلعت من اعلى جدران هيكل الشمس في بعلبك فرأيت ادلةً اعظم من هذه على مقدرة الانسان ومهارتهِ ولكنني لم ارَ قبل الآن مكاناً رصَّعتهُ الطبيعة والصناعة ووشاهُ التخريب والتدمير بثوب اجمل من هذا او يضاهيهِ

ما هو شواهق لبنان وقننهُ المعممة بالثلج ولاهيا كل بعلبك وجدرانها الضخمة الحجارة واعمدتها التي تناطح السحاب ولا اطلال تدمر وما فيها من الصفَّاح والعمد المتراكمة في ذلك القفر الاجرد بل هو تلال ووهاد وحراج وادغال وشواهق وصوامع واطلال دوارس نبتت عليها الطحالب وتعرشت بها اللبالب وحولها بلوط باشان مخضر الورق ملتف الافنان . كل ما رأيتهُ قبل الآن من خرائب الشام مدفون في التراب او مطروح على الدمَن وهو على انتساق اساطينهِ وجمال تيجانها وزخرفة افاريزهِ وتفرُّع افنانها لا يقابل باديرة بلاد الانكليز وقلاع نهر الرين من حيث الوضع الطبيعي ولكن الامر على غير ذلك بين تلال باشان فان نضارة الاشجار تغطي صدوع المباني وتظهر جمال بنيانها وعساليج اللبلاب تطوق اعناق العمدان وتكلل هامات تيجانها . انتهى

وحسبنا الصورة التي في صدر هذه النبذة وهذا الوصف للدلالة على ما كانت عليهِ مدن الشام وماصارت اليهِ في هذه الايام

اعظم اكتشاف جيولوجي

ابى القطر المصري الاَّ ان يكون الاول في ما كُشف من آثار اعظم الحيوانات البرّية كما انهُ الاول في ما كشف من آثار الانسان . فقد كُشف فيهِ من المتحجرات ما لا يضاهيهِ شيءٌ في مقدارهِ وفائدتهِ العلمية الاَّ المتحجرات التي اكتشفها الاستاذ مارتش الاميركي في الولايات الاميركية

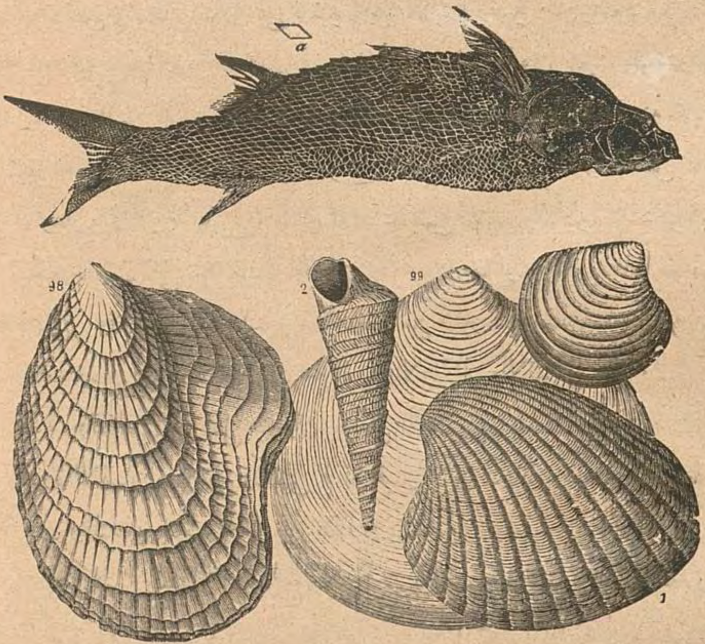

وقبل الخوض في وصف ما كشف حديثاً في هذا القطر نتكلم على مسأَلتين مهمتين الاولى حقيقة المتحجرات والثانية فائدتها العلمية

يراد بالمتحجرات ما يُرى في الارض وصخورها من الاصداف والحلازين وعظام الحيوانات وسوق الاشجار كما ترى في صورة السمكة وصور الاصداف المرسومة هنا وقد صارت كلها حجارة صلبة او هشةً حسب نوع الصخور التي توجد فيها. وقلَّ من رأَى هذه المتحجرات ولم يسأَل عن اصلها او يبحث عن كيفية تشكلها باشكال الحيوانات او النباتات . ولقد كان هذا شأْن العقلاء في السؤَال والبحث من قديم الزمان فنتج عن ابحاث المتأَخرين منهم علم البلينتولوجيا اي علم الموجودات القديمة واول رجل رأَى هذه المتحجرات واهتدى بزكانتهِ الى معرفة اصلها ووصلت اقوالهُ الينا هو

رأس الارسينويثريوم زتلي وفيهِ النتو القرني
Arsinoitherum Zitteli
Beadn.

مستعارة من ادارة المساحة

قرنا الارسينويثريوم زتلي

Arsinoitherum Zitteli
Beadn.

مستعارة من ادارة المساحة

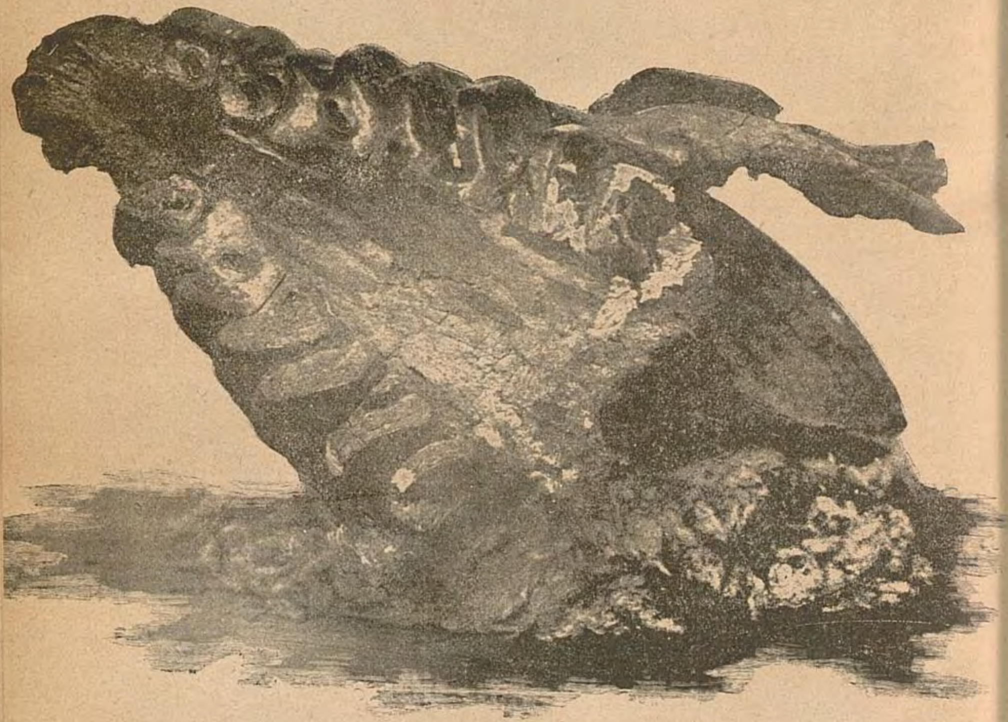

فك الارسينوثريوم من الداخل واسنانهُ

Arsinoitherum Zitteli
Beadn.

مستعارة من ادارة المساحة

الفيلسوف زنوفانيس اليوناني الذي نشأ قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة فقد قال ان الارض كانت طيناً يغمرهُ ماء البحر ثم نضب الماء عنها فبقيت الاسماك والاصداف مدفونة فيها . وتلاهُ هيرودوتس ابو التاريخ الذي نشأ بعدهُ بنحو نصف قرن فانهُ وجد اصدافاً في تلال مصر وصحراء ليبية فاستدلَّ منها ان البحر كان غامراً لهذه الاقطار . وقال ارسطو الذي نشأ في اواسط القرن الرابع قبل المسيح "كان وقت لم يكن فيهِ شيء من الانهار الجارية الآن وسيأتي وقت تنضب فيهِ مياهها كما ان مياه البحر دأبها غمر بعض الاراضي والانحسار عن غيرها والبر والبحر متناوبان فتارة يكون هذا هنا وذاك هناك وتارة يكون هذا هناك وذاك هنا

واخذ العرب علومهم عن اليونان او عن الذين اخذوا عن اليونان من الرومان والسريان ولم يزيدوا عليها من هذا القبيل او حرَّفوها بعض التحريف. ذكر القزويني كيفية تولُّد السهول والجبال ووجود المتحجرات فيها نقلاً عنهم فقال " اذا امتزج الماء بالطين وكان في الطين لزوجة وأثرت فيهِ حرارة الشمس مدة طويلة صار حجراً كما ترى النار اذا اثَّرت في اللبّن (الطوب) صلّبتها وجعلتها آجراً فزعموا ان تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس واما سبب ارتفاعها وشخوصها فجاز ان يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتخفض بعض الارض وترفع بعضها وجاز ان يكون بسبب ان الرياح تنقل التراب من مكان الى مكان فتحدث تلال ووهاد ثم تتحجر بسبب ما قلنا وذكر صاحب المجسطي ان كل ستة وثلاثين الف سنة تنتقل اوجات الكواكب وتدور في البروج الاثني عشر دورة واحدة فاذا انتقلت من الشمال الى الجنوب اختلفت مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد وتتغير ارباع الارض فيصير العمران خراباً والخراب عمراناً والبراري بحاراً والبحار براري والسهول جبالاً والجبال سهولاً فان الجبال من شدَّة اشراق الشمس عليها بطول الزمان تنشف رطوبتها وتزداد يبساً وجفافاً وتتكسَّر فتصير احجاراً او رمالاً ثم ان السيول تحملها الى بطون الانهار ومنها الى البحار فتنبسط في قعرها سافاً بعد ساف بطول الزمان وتتلبَّد بعضها فوق بعض فيحصل في البحار جبال وتلال كما يتلبَّد من هبوب الرياح دعاص الرمل ولذلك قد يوجد في جوف الاحجار اذا كسرت صدفة او عظم وذلك بسبب اختلاط طين هذا الموضع بالصدف والعظم "

انتهى قول القزويني وهو شبيه بما قالهُ الفلاسفة الاقدمون واقرب الى الحقيقة ممَّا قالهُ الفلاسفة الاوربيون الذين جاؤُوا بعدهم الى ان قام فركستورو الطبيب الايطالي في اوائل القرن السادس عشر وقال ان المتحجرات آثار حيوانات عاشت على الارض في ادوار مختلفة وانها ليست

من طوفان نوح واثبت ذلك بادلة نعدُّها اليوم قاطعة ولو لم يرعها الناس سمعاً في زمانهِ

لكن بقي علماء اوربا يقولون ان المتحجرات باقية في الارض من طوفان نوح او انها متولدة فيها تولُّداً بقوة طبيعية الى الربع الاخير من القرن الثامن عشر حين تملَّص العقل من سلطة الوهم وخلع نير التقليد فلاحت تباشير العلم الصحيح وعُرفت حقيقة هذا المتحجرات ونسبتها الى الحيوانات العائشة والى الحيوانات البائدة وأُخذت دليلاً على ما اصاب الحيوان والنبات من التغيرات مدى العصور الكثيرة التي مرَّت على الارض وهذه هي الفائدة العلمية التي نتجت عنها

هذا والمتحجرات التي رآها هيرودتس ابو التاريخ في القطر المصري منذ نحو اربعة وعشرين قرناً رآها الوف والوف الوف من الناس قبلهُ وبعدهُ وترى امثالها الآن في كل البقاع بل ان جانباً كبيراً من حجارة الاهرام مؤلف منها ولم يكن لها شأن كبير لشيوعها ولذلك لم تهتم الحكومة المصرية بانشاء دار لها تجمع فيها امثلتها لدرسها والبحث فيها

ومنذ مدة وجيزة كان العالم شوينفوث الالماني يمسح الارض في جهات الفيوم فرأى مكاناً كثير الحفر والنقر فظنَّ بفراستهِ ان فيهِ آثار حيوانات قديمة من المتحجرات قياساً على ما كشف في اماكن مثل هذه في بلدان أُخرى. ولا نظن انهُ توقَّع ان تكشف فيها آثار من اعظم ما كشف من آثار الحيوان حتى الآن . وقد اشرنا الى هذه الآثار في شهر نوفمبر الماضي حيث قلنا

"حار العلماء في كيفية تولُّد ذوات الخرطوم من الحيوانات كالفيل المعروف الآن والفيل المنقرض المعروف بالمستودن فان الاحافير الجيولوجية التي كشفت الى الآن تدل على ان هذه الحيوانات وجدت بغتةً في اواسط عصر الميوسين من العصور الجيولوجية ولم تكشف احافير حيوانات اخرى تصل بينها وبين غيرها من الحيوانات التي قبلها لكن الدكتور اندرُس وجد بين المتحجرات التي وجدت في الفيوم من القطر المصري احافير حيوان فقري مثل المستودن في الطبقات السفلى من عصر الميوسين المعروفة بالاوليغوسين وهو يختلف عن المستودن باسنانهِ ووجد في المتحجرات التي وجدت تحتها آثار حيوان مثل هذا ولكنهُ من ذوات الحافر. وهذا الاكتشاف من اهم الاكتشافات الجيولوجية الحديثة لانهُ يظهر كيفية تولد الافيال بكشف احافير اسلافها"

وحالما رأت الحكومة المصرية انهُ كُشف في بلادها مثل هذه الآثار التي لها شأن كبير لدى العلماء اجابت طلب الكبتن ليونس مدير قسم المساحة وانشأت داراً للتحف الجيولوجية في حديقة نظارة الاشغال العمومية . وقد زرنا هذه الدار مرتين فرأينا فيها الكبتن ليونس والدكتور اندرس المشار اليهِ آنفاً وهو جيولوجي دار التحف البريطاني ونظرنا جميع المتحجرات التي كشفت في الفيوم وأُتي بها الى العاصمة وشرحها لنا الدكتور اندرس شرحاً وافياً

ومن يدخل دار هذه التحف الآن يجد فيها آثار حيوانات كثيرة من ذلك آثار الحيوان الذي يشبه الفيل وآثار حيوان يشبه الكركدن وآثار نوع من التمساح ونوع من السلاحف البرية ونوع من الوبر وانواع اخرى لم نتبيَّنها جيدًا او لم تبقَ صورتها في ذهننا

اما الحيوان الذي يشبه الفيل فمزيتهُ الكبرى ان الفيل المعروف الآن يمتاز بكثرة الحدبات في اسنانهِ حتى كأن السن الواحدة منها اسنان كثيرة وقد يكون في السن الواحدة اربع وعشرون حدبةً او حرفًا عرضيًّا بارزًا منها فتظهر كانها اثنتي عشرة سنًّا مما لهُ حدبتان ولذلك لا يكون في كل جهة من كل فكٍّ من فكي الفيل الأسن واحدة كبيرة وسن اخرى بجانبها حتى اذا ربت الاولى ووقعت كبرت الثانية وقامت مقامها . وعدد هذه الحدبات او الحروف قليل في الافيال القديمة اسلاف الافيال المعروفة الآن وهو نحو اربع عشرة حدبةً كأن السن مؤلفة من سبع اسنان . ولا بدَّ من ان عدد هذه الحدبات كان اقل من ذلك كثيرًا في اقدم انواع الافيال حتى نصل الى الحيوانات الثدوية الاخرى التي تفرَّع الفيل منها ولكن لم يكشف شيءٌ من ذلك الاَّ الآن فان آثار الفيل التي وُجدت في الفيوم تصل بينهُ وبين الحيوانات الاخرى التي ليس في اسنانها حدبات كثيرة فان في كل جانب من فكيهِ بضع اسنان لا سن واحدة ذات حدبات كثيرة وبقية عظام هذا الحيوان تدلُّ على انهُ كان ضخمًا جدًّا مثل الفيل المعروف الآن او اكبر منهُ . ولا بدَّ من ان تجمع العظام التي كشفت ويؤلَّف منها حيوان كامل فنرسم صورتهُ حينئذٍ ونوفيهِ حقَّهُ من الوصف

والحيوان الآخر الذي لهُ الشأن الاكبر بين هذه المكتشفات هو نوع يشبه الكركدن سماهُ المستر بيدنل الجيولوجي مكتشفهُ ارسينويثريوم Arsinoitherium نسبة الى الملكة ارسينوي التي تسمَّت الفيوم باسمها في عهد البطالسة . هذا اسم الجنس وجعل النوع الخاص بهذا الحيوان زتلي Zitteli نسبة الى العالم الجيولوجي الالماني الذي كان اول باحث في جيولوجية القطر المصري

واغرب ما في هذا الحيوان رأسهُ فانهُ على ضخامتهِ مسلَّح بقرنين عظيمين كأنهما برجان مشيدان فاذا نُظر اليهِ من جانب واحد ظهر القرنان كأنهما قرن واحد كما ترى في الصفحة الاولى من صفحات الرسوم الثلاث التي في صدر هذا الجزء فان فيها صورة الفك الأعلى ونتوٍ كبير بارز منهُ ووراء هذا النتو نتوَّان صغيران كما ترى عند اسفلهِ . واذا نُظر الى هذا النتو من الامام ظهر انهُ يعلو اولاً كأنهُ نتوٌ واحد اسطواني الشكل ثم ينشق الى شعبتين او قرنين عظيمين كما ترى في الصفحة الثانية من صفحات الصور. وأحد هذين القرنين مكسور والاخر سالم. وطول

الراس ٧٥ سنتمترًا وعرضهُ ٢٤ سنتمترًا وقطر هذا النتو من اسفلهِ ٢٤ سنتمترًا كعرض عظم الراس ثم يتسع قليلاً ويتفرَّع فرعين كما ترى في الصفحة الثانية . والرأس ضيق كراس الفرس كما ترى في الصفحة الثالثة والاسنان سبع في كل جانب من جانبي الفك والظاهر انهُ كان في مقدَّم الفك قاطعان من القواطع الامامية

وقد كان كفل هذا الحيوان كبيرًا واسعًا جدًّا يظهر من عظامهِ التي كشفت ان اتساعهُ كان نحو متر ونصف . قال المستر بيدنل مكتشفهُ ان شكل اسنانهِ يدلُّ على انهُ من اسلاف الكركدن ولكن النتو البارز من رأسهِ يجعلهُ شبيهًا بالدينوثريوم الذي كشفت آثارهُ في اميركا الشمالية . والفرق كبير بين قرنيهِ وقرن الكركدن لان هذا ليس بينهُ وبين الجمجمة اتصال عظمي. و يظهر كأنَّ هذين القرنين العظيمين كانا مقرَّين لقرنين طويلين كقرني الجاموس او بقر الوحش او لقرنين قصيرين كقرني الزرافة

واننا بفارغ الصبر ننتظر ان يتم جمع ما كشف من هذه المتحجرات وما يمكن ان يكشف منها وجمع اجزائها بعضها مع بعض ليعلَم منها شكل الحيوانات التي هي من بقاياها

وآثار التمساح التي وجدت في الفيوم تدلُّ على تمساح قديم طويل الفكين دقيقهما قال لنا الدكتور اندرس انهُ يشبه التمساح الدقيق الفكين الموجود الآن في بورنيو ويكاد فكاهُ يشبهان منقار الطائر الدقيق المنقار وهو المعروف علميًّا باسم Garialis gangetica ومن المحتمل ان التمساح الذي كشفت آثارهُ في الفيوم اقرب الى التمساح الذي يوجد في غربي افريقية C. cataphractus منهُ الى تمساح الهند لان فكيهِ ليسا مفرطي الطول كفكي تمساح الهند

والوبر حيوان صغير كالارنب ولكن آثار الحيوان الذي كشف في الفيوم من نوعهِ تدلُّ على انهُ كان اكبر كثيرًا ممَّا هو الآن

واول ما تقع عليهِ عين الداخل الى المعرض الجيولوجي سلحفاة كبيرة جدًّا من السلاحف البرية تذكّر الرائي بسلاحف غلاباغ التي وصفها الشهير دارون . وسنأتي على وصف هذه المتحجرات كلها بالتفصيل في جزءٍ تالٍ

والظاهر ان النيل او نهرًا آخر من الانهار القديمة كان يصبُّ في حوض الفيوم قبلما تكوَّن القطر المصري ويجرف اليهِ ما يغرق فيهِ من الحيوانات او ما تجرفهُ السيول اليهِ منها فامتزجت رممها بالطين وحلَّ فيها التحوُّل المعروف اي ذابت الدقائق الآلية من عظامها وحلَّ محلها دقائق جيرية ورملية فتحجرت وطمرتها الرمال بعد ان نضب الماءُ فحفظت الى هذا العهد بعد ان بقيت في مقرها الوفًا والوف الف من الاعوام

ارباب المال والاعمال

المستر جوزف روبنصن

كنَّا نظن المستر ركفلر الغني الاميركي الذي اوردنا ترجمتهُ في الجزء الثالث اغنى اغنياء المسكونة فاتَّصل بنا حديثاً ان المستر روبنصن اغني منهُ لان ما يمتلكهُ في مناجم جنوبي افريقية يبلغ ثمانين مليوناً من الجنيهات اي مضاعف ما يمتلكهُ كارنجي الشهير

ولد هذا الرجل في مستعمرة الراس وشرع في التجارة وعمرهُ ١٦ سنة وجعل يربي الخيل والغنم والبقر ويشتري الصوف ويرسلهُ الى انكلترا . اي انهُ عني بالتجارة وتربية المواشي في السن الذي يقضيهِ اكثر الشبان في الدرس او في اللهو فنجح في عملهِ نجاحاً كبيراً شأن كل مجتهد مقتصد

وحدث في تلك الاثناء الحادث الذي قدِّر لهُ ان يغير تلك البلاد تغييراً تاماً ويغني الوفاً ويفقر الوفاً ويضرم نار هذه الحرب التي لا تزال مستعرة في جنوبي افريقية نعني به

اكتشاف الماس فيها فقد ذكرنا في الجزء الماضي ان فلاَّحًا اسمهُ نيكرك صدَّق انهُ يوجد حجر كبير من الماس عند بعض القبائل الافريقية وظلَّ يتطلبهُ الى ان وجدهُ في اواخر سنة ١٨٦٩ والظاهر ان نيكرك صدق هذا الخبر بعد ما وُجد حجر من الماس في بيتهِ فقد قيل ان صيادًا اسمهُ اوريلي كان يضرب في البلاد يصيد الحيوانات ويجمع ريش النعام نزل ذات ليلة ضيفًا عليهِ وكان ساكنًا في ولاية اورنج الحرَّة قرب نهر الفال فرأى ابنتهُ تلعب ببعض الحصى فجلس ينظر اليها ورأى بين الحصى حصاةً ملساء لامعةً فمسكها وجعل يتأملها فقال لهُ نيكرك انها من الصوان الذي يؤخذ منهُ القدَّاح فقال اوريلي انها ليست من الصوان في شيءٍ . ثم طلب منهُ في الصباح ان يبيعهُ اياهُ فضحك نيكرك من ذلك وقال لهُ أأبيعك حجرًا لا قيمة لهُ خذهُ من غير ثمن فقال اوريلي اني اظنهُ حجرًا ثمينًا فان كان كذلك اعطيتك نصف الثمن الذي ابيعهُ بهِ

واخذهُ وعاد بهِ الى مدينة كولسبرج ودخل فندقًا وجعل يخدش بهِ زجاج الشبابيك فوجدهُ صلبًا يخدش الزجاج فضحك عليهِ الحضور واخذ واحد منهم قطعة صوان وخدش بها الزجاج فخدشتهُ كما خدشهُ هذا الحجر ولما رأى اوريلي ذلك رماهُ من الشباك ولكن بقي في نفسهِ شيءٌ منهُ فعاد اليهِ بعد ساعتين والتقطهُ واراهُ لاناس كثيرين فكانوا يضحكون عليهِ ويقولون انهُ نوع من الصوان او دب الملح فيرميهِ ثم يعود فيلتقطهُ واخيرًا بعث بهِ الى مدينة الراس فرآهُ احد تجار الجواهر وقال انهُ حجر ماس فاشتراهُ والي مدينة الراس بخمس مئة جنيه . وعاد اوريلي الى نيكرك واعطاهُ مئتين وخمسين جنيهًا منها وطلب من ابنتهِ ان تريهُ المكان الذي التقطت الحجر منهُ فارتهُ اياهُ فوجد فيهِ حجارة اخرى صغيرة من الماس

ولما قبض نيكرك المئتين والخمسين جنيهًا خطر ببالهِ ما سمعهُ عن حجر عند بعض القبائل الافريقية فقام لساعتهِ وجعل يبحث عنهُ الى ان وجدهُ فاشتراهُ ثم باعهُ باحد عشر الف جنيه على ما ذكرنا في الجزء الماضي في ترجمة سسل رودس

وبلغ المستر روبنصن هذا الخبر فحدثتهُ نفسهُ بان خزائن الثروة مدفونة عند نهر الفال فقام لساعتهِ واخذ معهُ بعض رجالهِ وعرَباتهِ وسار الى نهر الفال وترك رجالهُ ومركباتهِ على ضفة النهر وركب جوادًا وعبر الى الضفة الاخرى فوصلها بعد عناءٍ شديد لان النهر كان في زمن فيضانهِ. وكان اهالي البلاد قد عرفوا عن وجود الماس في بلادهم وانهُ غالي الثمن وجعلوا يجمعونهُ ويبيعونهُ فرأى مع واحد منهم حجرًا كبيرًا فعرض ان يشتريهُ منهُ بعشرة جنيهات فابى فدفع اليهِ اثني عشر جنيهًا فابى ايضًا فقال لهُ ما لنا وللجنيهات بكم عنزٍ تعطيني هذا الحجر فابرقت اسرَّة

الرجل وقال بعشرين عنزة فعاد روبنصن وعبر النهر وبعث رجالهُ يشترون لهُ كل ما يجدونهُ من المعزى. وفي اليوم التالي اشترى الحجر بعشرين عنزة ولا يزال هذا الحجر عندهُ وهو اساس ثروتهِ وقد رأينا صورتهُ وهو كبير مثل الحجارة التي يباع الحجر منها بخمسة آلاف جنيه او اكثر وكان ثمن المعزى التي اشتراهُ بها سبعة جنيهات ونصف

وكان عندهُ الف وخمسمئة رأس من البقر فاتى بها كلها ليقايض عليها بالماس . وكان لهُ شريك فبعث اليهِ اثنين من رجالهِ اركبهما على اسرع خيلهِ وطلب منهُ ان يشتري لهُ كل ما يمكنهُ مشتراهُ من العربات ويسرع بها اليهِ فجعل الاهالي يفتشون لهُ عن حجارة الماس وهو يشتريها منهم بالبقر والعربات واشترى منهم ايضاً ارضاً مساحتها عشرون الف فدان على ضفتي نهر الفال ولم يمضِ عليهِ شهر ونصف حتى وجدفيها من الماس ما ثمنهُ عشرة آلاف جنيه

(٣) وعرضت لهُ مشاكل كثيرة فلم تقوَ عليهِ ووقع في ورطات عديدة ثم نجا منها من ذلك انهُ سمع ذات ليلة صياحاً شديداً على جانب النهر المقابل فظن ان البرابرة قادمون عليهِ فقبض على بندقيتهِ وجلس وراء شجرة وفعل رجالهُ مثلهُ وزاد الصياح والجلبة ثم عبر النهر جم غفير من الاهالي البرابرة ودنوا منهُ واذاهم رجال من قبائل البشمن راكبون على الثيران السوداء ومعهم شيخهم واسمهُ سودا فقال انهُ جاء روبنصن بحجارة نادرة المثال وفك صرَّة كبيرة في الصباح واخرج منها حجارة من الماس المسوس لا تساوي ثلاثة جنيهات ولم يستطع ان يصرفهُ عنهُ الاَّ بعد عناء شديد

وصنع مرةً طوفاً من البراميل الفارغة ليقطع عليهِ نهر الفال وجلس عليهِ ومعهُ جماعة من رجالهِ . ولما وصل الى وسط النهر افلت برميلان من البراميل فغرق الطوف وغرق رجالهُ ولم يكن احد منهم يعرف السباحة الاَّ هو ورجل آخر لكنهُ نجا ونجَّى رجالهُ كلهم

وكما اغتنى هو وجمع الالوف من الجنيهات اغتنى الاهالي بما اعطاهم اياهُ من الثيران والعربات ثم صاروا يقبلون الثمن نقوداً ويشترون بهِ ثياباً وحلًى وصاروا يتركون العمل ويشتري الواحد منهم عشرين زوجةً ويجلس يأكل ويشرب وهنَّ قائمات على خدمتهِ

وبلغهُ ذات يوم ان امرأة من البوير وجدت حجارة من الماس في بيتها فاسرع اليها ووجد عندها ستة حجارة صغيرة فاشتراها منها ودلتهُ على المكان الذي التقطتها منهُ فوجد فيهِ ماساً كثيراً وهو منجم دتوتسبان واخبرتهُ هذه المرأة ان جارة لها وجدت حجارة ماس في ارضها فاسرع اليها واشترى الحجارة واشترى المكان الذي وجدتها فيهِ وهو المعروف الآن بمنجم بلتفنتين . وكان هذا المنجم كثير الماس حينما كشفهُ حتى ان كل عامل كان يستخرج منهُ في

يومهِ ما يساوي اربعمئة جنيه . ثم اكتشف منجم ده بيرس صدفةً . فهو المكتشف لثلاثة من مناجم الماس الاربعة

وكانت فتاة جالسة في ظل شجرة ترسم رسوماً على الرمل بطرف شمسيتها فرأت حجراً كبيراً من الماس ثم اتضح ان المكان كثير الماس وهو منجم كمبرلي المشهور وحالما كُشف اشترى روبنصن جانباً كبيراً منهُ . وجاءهُ رجل ذات يوم وقال لهُ اني استطيع ان اشتري نصف حصة من حصصك فان وجدتَ لي واحداً يشتري النصف الآخر فانا اشتغل الحصَّة كلها واعطيهِ نصف ربحها فقال لهُ روبنصن ادفع نصف الثمن ويبقى النصف الآخر لي فدفع واشتغل في الحصَّة وحدهُ فاستخرج منها في الشهر الاول ما ثمنهُ اربعة آلاف جنيه وجاء روبنصن بالفي جنيه منها فوهبهُ روبنصن النصف الآخر وهو الآن من كبار الاغنياء

وعظم شان روبنصن بتعاظم ثروتهِ فجُعل محافظاً لمدينة كمبرلي وعضواً في مجلس المعادن وعضواً في مجلس الشورى بمدينة الراس . وجاءهُ سنة ١٨٨٦ تلغراف من الرجل الذي وهبهُ نصف حصَّة يقول فيهِ "كشفت ارض على ثلاثين ميلاً من بريتوريا فيها ذهب واظنها تستحق عنايتك ومجيئك حالاً اليها"

فقام حالاً واتى الى حيث وُجد الذهب واشترى الارض التي فيها منجم لنجلاغايت بسبعة آلاف جنيه والارض التي فيها منجم روبنصن باثني عشر الف وخمس مئة جنيه وجعل يحفر هذه المناجم ويشتري الاراضي المجاورة حتى اشترى ارضاً طولها ثلاثين ميلاً وهناك مناجم وِتْوترستراند وهي اكبر مناجم الذهب واعمقها واغناها ويُظَن انهُ لا يمكن استنزاف ذهبها كلهِ قبل ثمانين سنة

وضحك بهِ كثيرون في اول الامر قائلين انهُ جمع ثروة طائلة من مناجم الماس وهو يبذرها الآن في مناجم الذهب وقال واحد منهم ما لكم ولهذا الحمار فقد اشترى حقلاً من الكرنب بسبعة آلاف جنيه . لكن حقل الكرنب هذا هو منجم لنجلاغايت ولم يلبثوا ان رأوا نجاحهُ وارتقاءهُ دفعةً واحدة الى الدرجة العليا بين ارباب الثروة ومستثمري الاموال . ومن رأيهِ ان في جنوب افريقية ثروة وافرة لم يحلم بمثلها احد وان استخراجها سيزيد زيادة كثيرة حالما يستتبُّ الامن في تلك البلاد

وفي سيرة هذا الرجل ما في سيرة غيرهِ من ارباب الثروة من دلائل الهمَّة والاقدام والحزم واستخفاف المصاعب وحسن النظر في العواقب . ولا ينكر انهُ وقع لهُ من الفرص ما يندر وقوعهُ لغيرهِ ولكن الذين وقعت لهم هذه الفرص معهُ كانوا يضحكون بهِ ويتهكمون عليهِ ففوزهُ دليل على ما امتاز بهِ عليهم من علو الهمَّة وحسن النظر في العواقب

حاضر المصريين

" او سرّ تأخرهم "

يشكو ناقدو الكتب الافرنجية اليوم لا سيما الانكليزية منها كثرة ما يطبع منها وينشر حتى غصّت بها المكاتب وضاقت مخازن باعتها اما نحن فليس لنا ما نتذمر منهُ من هذا القبيل لقلة ما يطبع في بلادنا من الكتب لكن شكوانا امرٌ من شكواهم ذلك ان اكثر ما ينشر عندنا تافهٌ لا يستحق القراءة وبعضهُ مضرٌ مخلٌ بالآداب يستوجب صاحبه العقاب وقلَّ ان يصدر كتاب فيهِ ما يروي الغليل ويشرح الصدر سواء كان في العلميات او في الادبيات

في مصر اليوم حركة خواطر نشأت بعد هذه النهضة الاخيرة التي تكاد تحيي ميت الآمال فانَّ بعض الفضلاء الذين يعرفون مكمن الادواء اخذوا يبحثون عن اسلوب تحلُّ بهِ بعض مشاكل عمران هذه البلاد بعد ان اتسعت موارد ثروتها وزاد اتصالها بالبلدان الاجنبية واختلاط اهلها باهل تلك البلدان واشتراك مصالح الفريقين وبعد ان كثر عدد المتعلمين من الناشئة المصرية فبذل هؤلاء الافاضل جزءًا كبيرًا من وقتهم في درس الحالة الحاضرة ومافيها من العلل ونظروا في السبل التي سار فيها هذا العمران والمراحل التي اجتازها وما دهمهُ من النوازل والمصايب وردَّهُ على عقبيهِ ثم عكفوا على تشخيص الداء ووصف الدواء ونشروا آراءهم في كتب ومقالات وقصائد اخصّ منها بالذكر كتاب سرّ تقدم الانكليز السكسونيين وكتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة فتلقَّى القوم هذه الكتب وتلك المقالات وما نشرتهُ الجرائد والمجلاَّت في شأنها وبينهم القادح والمادح والمسلّم والمشاغب وانبرى الكتَّاب لانتقاد ما فيها على الوجوه التي يعرفها قراء الجرائد المصرية ممَّا لا حاجة بنا لاعادتهِ في هذا المقام

وقد ظهر في هذا الشهر كتاب جدّي خليق بالقراءة والتفكير حاول فيهِ صاحبهُ ان يزيح الغطاء عن سرّ تأخر المصريين . والذين يعرفون المؤلف يعرفون منهُ شابًا رزينًا قليل الكلام كثير التأمل والدرس محبًّا للاستفادة بعيدًا عن المزاح بين ضلوعهِ نفس تميل الى التقدُّم في السبل المشروعة ومن كان كذلك فأخلقْ بكتابتهِ ان تكون في المواضيع الجدية المفيدة

يريد المؤلف ان يبسط حالة المصريين الحاضرة في طبقاتهم الثلاث وان يمثلهم لعيونهم كما هم في طباعهم واخلاقهم واميالهم وعاداتهم واساليب معيشتهم والاسباب العاملة في انحطاطهم وما عرض لهم من اسباب النجاح وما يجب اصلاحهُ من احوالهم ففعل ذلك دون ان يخشى في قولهِ لومة لائم لاعتقادهِ ان ما يقولهُ هو الحق كما يتجلَّى لعينيهِ بعد اختبارهِ مواقع

الضعف والشدَّة في بلادهِ . ولو كان من علماء السسيولوجيا لانتظرنا منهُ ان يمهّد لكتابهِ سبيل البحث كأَن ياتي على ذكر نواميس العمران وشرائعهِ العامَّة ثمَّ يستطرق منها الى ما في هذا القطر من الخصوصيات في الاقليم وتشعُّب الاديان واشكال الحكومات التي تولتهُ واختلاف اغراضها وتباين غاياتها وما كان لذلك من الاثر في نفوس اهلهِ وسكانهِ الى ان يتخلَّص الى التخصيص كما فعل لكنَّ الرجل ليس كذلك (ولا اظنهُ من ناقلي الشهادة الابتدائية او الثانوية !!) فهو كما قلت في وصفهِ منح عيناً نقاوة ونيرة وقلباً يتلهب غيرةً ووطنية فقرأ في سفر بلادهِ ما قرأ ثم نقدهُ فميَّز الصحيح من الفاسد وحضَّ على التمسك بالاول والاستزادة منهُ وترْك الثاني واستبدالهِ بما هو اصلح لبقاء الامَّة وفلاحها مشيرًا الى طرق الاصلاح واتخذ لذلك اسلوبًا بسيطاً يفهمهُ الجميع وكأَن الكتاب من اوَّلهِ الى آخرهِ رواية تمثل حالة الامة لا ينقصها سوى حديث او حكاية كما يفعل بالروايات التاريخية كبار كتَّابها

اما الصورة التي رسمها فليست ممَّا يسرُّ الناظرين فقد بدت باشدّ الالوان سوادًا وارتدت رداءً ضافياً من القباحة وسوء المنظر فاذا كانت هذه الصورة مطابقة للواقع — واودُّ الّا تكون — فالامر اسوأُ ممَّا نظنُّ والرجل مصيبٌ في استصراخهِ الامة وافاضلها للهبوب من سبات الغفلة والاهتمام بامورها

والكتاب يخصّ كلَّ طبقة من الطبقات الثلاث بمرض او اكثر من امراض العمران ثم يصف الدواء تارة موجزًا وطورًا بالاسهاب ثمَّ يردّ هذه الامراض الى اصل واحد وهو الجهل الفاشي في التربية البيتية والمدرسيَّة وافتقار البلاد الى المعدَّات التي تضمن حسن تلك التربية واستمرارها في المرء بعد تركهِ حضن امهِ ومغادرتهِ المدرسة التي يتلقى علومهُ فيها . امَّا الجهل فلا سبيل الى انكارهِ وامَّا التعليم الذي يدفع شرَّهُ عن البلاد ففي حالةٍ سيئة وقد احسن المؤلف في حضهِ ابناء وطنهِ على الاهتمام بامر المدارس غير معتمدين على الحكومة لكني ارى ان الزمان الذي يتمناهُ لم يحن بعد فهذا مشروع مدرسة محمد علي الصناعية ليس في البلاد من ينكر فضلهُ ونفع المدرسة ومع ان القائمين بهِ لم يدَّخروا وسعاً في تشويق الناس الى اسعافهِ وبذل المال اعانةً لهُ ومع ان الجرائد تنشر هبات القوم من انحاء مصر كافةً ومع ان المتموّلين في هذا القطر يعدُّون بالالوف فلم يزد المال المجموع عن عشرة آلاف جنيه جزءٌ كبير منها من الاجانب ومثرٍ واحد في اميركا او اوربا يزور مدرسة فيرى فيها نقصاً او حاجة فتهزهُ الاريحية ويجود بمثل هذا المقدار وباضعافهِ ولا تطنطن جرائد بلادهِ بكرمهِ قدر طنطنة جرائدنا بسخاء من يبذل مئة جنيه !

انظر الى اساليب التربية والتعليم المتبعة في الشرق على الوجه الذي بينهُ المؤلف في الطبقات

الثلاث فلا يغرب عنك سر ما تراهُ من التأخر والانحطاط بل يا خذك العجب كيف انَّ هذا الانحطاط لم يبلغ اوطأ الدركات ثم قابل بين الذين نشأوا على هذا النمط وبين اخوانهم الذين اتيحت لهم اسباب التربية والتعليم الصحيحين في هذه البلاد او في البلاد الاجنبية تعلم ان في الشرقيين من الاستعداد الفطريّ ما يؤهلهم لأن يكونوا رجالاً كباراً اذا غرست فيهم ابَّان الطفولية والصبوة بزور العلم الصحيح والفضيلة والآداب . أليس من المحزنات ان يكون ذلك في وسعنا وان يكون منالهُ قريباً منَّا بشرط ان نسعى اليهِ ثم نحوّل عنهُ وجوهنا ونسير في الجهة الاخرى . أو نعجب بعد هذا كلهِ ان صارت البلاد طعمة للاجانب فكانت تجارتها وصناعتها بايديهم ونأسف لان الضعف داخلها وان القوَّة احاطت بها احاطة السوار بالمعصم أنسينا ان القوَّة اساس النجاح وان لا قوَّة مع الجهل وان الضعيف عبد للقويّ

فكتاب حاضر المصريين صورة عامة لحالة البلاد يراها الواحد فتنقبض نفسهُ وما من شرقي محب لشرقهِ الاَّ ويتمنى ان تتبدل الوان هذه الصورة بما هو ازهى ومناظرها بما هو اجمل والسبيل الوحيد الى ذلك التربية الصحيحة والتعليم المفيد وما خرج عنهما فوسائل لها بعض الفعل ولكنها لا تفي بالغاية المطلوبة . اقول هذا وانا اعلم ان بعض من لهُ اليد في الامر لا يرون هذا الرأي زعماً منهم ان تعليم الفلاَّحين يعود عليهم بالضرر وهي دعوى لا سبيل لاثباتها والادلة على فسادها متوفرة ولضررٌ مع العلم خيرٌ منهُ مع الجهل

وكأن المؤلف لم يترك باباً للوقوف على الحقائق الاَّ قرعهُ يدلك على ذلك ما في الكتاب من الاحصاء في الكتب والجرائد والمطابع والمدارس والمتعلمين والمتعلمات والبيوت التي خربت بفضل تبذير اولادها والجنايات الى آخر ما اشتمل عليهِ من هذا القبيل واعجب منهُ اشاراتهُ في عرض الكلام الى ما جاء في الجرائد المصرية والمجلات ونحوهِ — حتى الاعلانات في الجامع الازهر — من الاقوال التي لها ارتباط بمباحثهِ ممَّا يدلُّ على انهُ كان في اثناء تاليفهِ لا يغفل عن تقييد الشوارد التي تزيد حجتهُ اثباتاً وكلامهُ وضوحاً وجلاء

على اني رأيتهُ يكثر من الاشارة الى ما للتمدن الافرنجي من الاثر في هذه البلاد وكأَنهُ يلوم الافرنج على تلقينا عنهم ما تلقيناهُ من العادات والاخلاق التي لا تصلح لنا ولا تفيدنا كما انها لا تصلح لهم ولا تفيدهم على ان الافرنج ليسوا بملومين على اقتباسنا عنهم ما اقتبسناهُ وان يكونوا ملومين في تمسكهم بتلك العادات والاخلاق فمثلنا ومثلهم مثل من يذهب الى السوق ليبتاع حاجة فيرى اصناف البضائع معروضة امامهُ بين جيد ورديء فاذا انتقى الرديء فلومهُ على نفسهِ اذ لم يكن هنالك مَن اجبرهُ على اختيار صنف دون آخر على أنَّ عذر المؤلف في

ذلك غيرتهُ المحمودة والتزامهُ الايجاز في الكلام في بعض المواضع والاَّ فقد رأيناهُ في غيرها ينصح ابناء بلادهِ كي يتحدَّوا الاوربيين في التحلي بالفضائل والمعارف ويهتموا اهتمامهم باسعاد بلادهم والاهتمام بنجاح اهلها

امَّا الصفة التي تتمثل في الكتاب باجلى بيان فشجاعة صاحبهِ تلك الشجاعة الادبية التي تذلّ امامها الكواسر وتطأطئ الرؤُوس فقد جاهر بحقائق لا يروق نشرها فريقاً كبيرًا من الناس ولم يلبسها التدليس ولا التمويه ولا خفَّف طعمها الحادّ بالمدح الفارغ بل نادى بها من على السطح آسفاً نادباً مظهرًا عيوباً فاضحة مرشدًا الى الدواء الشافي لكلٍّ منها عالماً ان تقدم بلادهِ وتمدنها انما هما اكبر العوامل على حفظ كيانها وبقاء اهلها بين الشعوب المتمدنة . رأى الوف الاموال تنفق جزافاً في المقامرة والسكر والفواحش وشاهد الذكاء يختنق في المهد وابصر القلوب تفسد في الطفولية والصبوة ونظر الجهل ضارباً اطنابهُ في دور العلم وحجب الغباوة مسدولة على البلاد فاضاء مصباحهُ ورفع عقيرتهُ وبذل جهدهُ وانجز ما عندهُ واتمّ واجباً تقضيهِ عليهِ الانسانية والوطنية لا يبتغي اجرًا ولا يطلب شكرًا ولا ينتظر من كتابهِ ربحاً فقد سمعتهُ يقول اذا بعتُ جميع ما سيطبع من نسخ هذا الكتاب فستبلغ اجرتي على تأليفهِ نحو مليم واحد عن الساعة الواحدة

وليتهُ بسط الكلام في الفصلين الخاصّين بالتجارة والزراعة غير مقتصر على البحث العامّ فيأتي كلامهُ فيهما مرشدًا يرجع اليهِ الذين يودُّون التخلص من ربقة الاستخدام العقيم وهم فئة كبيرة من الشبان المتعلمين ولبعضهم شيءٌ من المال يستطيعون معهُ أن يرفسوا الاستخدام ويلتمسوا العيشة المستقلَّة في ما فيهِ فائدتهم ونفع البلاد

ولو لم يكن في فمي ماء لزدت على ما قالهُ في شأن التعليم في مصر والمدارس التي فيها على اختلاف صبغاتها ومشاربها ولكنني اعيد الآن ما قلتهُ في مجلس ضمّ نفرًا من الاغنياء وعصبة من الادباء " ان من العار على مصر بما فيها من الاغنياء والاموال ان تلجأَ الى البلاد الاجنبية لتعليم اولادها العلوم وان لا يكون فيها مدرسة واحدة جامعة على الاقلّ تكفي ابناءها مشقة التغرُّب التماساً لتحصيل المعارف حيث يتلقونها على نمط لا يفي بحاجات بلادهم بل بحاجات البلاد التي يدرسون فيها "

ومع انني اتمنى للكتاب انتشارًا يليق باهميتهِ وفائدتهِ واهتمام صاحبهِ في وضعهِ فانّي اخشى ان يكون سرّ تأخر مؤَلفهِ المادّي لان المجاهرة بالحق لا تكسب صاحبها سوى عداوة الخلق لا سيما ما كان منهُ مجرّدًا عن المدح والتملُّق واذا لم ينتشر هذا الكتاب فذلك من اكبر الادلَّة على تأخرنا وعدم اكتراثنا لما فيهِ فائدتنا وتقدمنا

خليل ثابت

الماسونية في فرنسا

اطَّلعنا على مقالة مسهبة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال كاتبها ما خلاصتهُ

وُضعت اسس الماسونية في انكلترا سنة ١٧١٧ فلم تتغيَّر تغيرًا يذكر من ذلك الحين وقد أتصلت بها العائلة المالكة منذ اكثر من مئة عام وانتظم في سلكها امراءُ الانكليز وشرفاؤُهم. واعضاؤُها من اشد الناس ولاءً لحكومتهم وليس لهم غرض سياسي من جمعيتهم . والحال على ضدّ ذلك في فرنسا فقد دخلتها الماسونية سنة ١٧٢١ ادخلها اليها الانكليز فتقلَّبت احوالها فيها بتقلُّب السياسة وراوحت بين مطالب العلم ومطالب الدين وغرضها الآن سياسي جمهوري مقاوم للاحزاب الاكليريكيَّة

وللماسون في انكلترا ٢٩٠٠ محفل عدا المقامات الكبرى وهم فيها يُعَدُّون بمئات الالوف . واما ماسون فرنسا فلا يزيدون على ثلاثين الفًا ولا تقابَل ثروة محافلهم بثروة المحافل الانكليزية ولهم مع ذلك شأْن في سياسة بلادهم اعظم جدًّا من شأْن الماسون الانكليز في سياسة انكلترا

وارتقى شأْن الماسونية في فرنسا في عهد نبوليون الاول ثم انحطَّ كثيرًا حتى ان نبوليون الثالث اضطرَّهم الى قبول رئيس اختارهُ لهم . وصار رجال البوليس يدخلون المحافل الماسونية ويرون ما يجري فيها من الرسوم كأَنها تحت سيطرتهم. ثم عظم شأْن الماسونية في فرنسا منذ عشرين سنة الى الآن وهي اليوم من اعظم دعائم الجمهورية الفرنسوية ولا يستطيع موظف في الحكومة ان يمدَّ اليها يدًا

وتقسم الماسونية في فرنسا الآن الى اربعة اقسام كبيرة وهي مجمع الرموز الاكبر والشرق الاعظم ومجلس الرموز الاسكتسيَّة الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم . والقسمان الاولان خاصَّان بالماسونية الفرنسوية والاخيران جاريان مجرى الماسونية الانكليزية. وكلٌّ فريق منهما بمثابة مجلس النوَّاب ومجلس الشيوخ اي ان الشرق الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم بمثابة مجلس النواب. ومجمع الرموز الاكبر ومجلس الرموز الاسكتسي بمثابة مجلس الشيوخ .والشرق الاعظم والمجمع الاكبر قديمان واما المحفل الاكبر فحديث انشئَ سنة ١٨٩٤ والفرق بينهُ وبين الشرق الاعظم انهُ يبيح لاعضائهِ الاعتراف بوجود الخالق في محافلهم واما الشرق الاعظم فلا يذكر فيهِ اسم الخالق وكلاهما محروم من كنيسة رومية مثل غيرهما من المحافل الماسونية في كل المسكونة

والشرق الاعظم على جانب عظيم من الغنى والنفوذ .لهُ دار فسيحة في قلب باريس وعندهُ

اموال طائلة معدَّة للدفاع عن الماسونية تقدَّر بملايين الفرنكات . واما المحفل الاكبر ففقير بالنسبة اليهِ والمحافل التابعة للاول ٤٠٠ فيها ٢٢٠٠٠ عضو والمحافل التابعة للثاني ١١٠ فيها ٥٠٠٠ عضو

قلنا ان نبوليون الثالث شدَّد المراقبة على الماسونية وممَّا فعلهُ انهُ امر بتعيين المرشال مكماهون رئيساً للشرق الاعظم ولم يكن منتظماً في الماسونية فانتظم في سلكها حالاً واخذ درجاتها الثلاث في اسبوع من الزمان وكان غرض نبوليون ان يقاوم بهِ الماسونية اما هو فرغب فيها وصار من اعظم انصارها وحمل نبوليون على اعادة حقوق الشرق الاعظم اليهِ واهتمَّ بامورهِ المالية حتى وضعها على اسس وطيدة

وقد اخذ الشرق الاعظم في ابطال الرموز الماسونية حتى لم يبقَ منها شيءٌ وصارت المحافل مثل الاندية العلمية والادبية يجتمع فيها العلماءُ والفلاسفة ورجال السياسة لكنها لا تدقق التدقيق الكافي في انتخاب اعضائها . ولم يبقَ شيءٌ من اسرارها مكتوماً الاَّ كلمة السر التي يمتاز بها الماسوني عن الاجنبي اذا اراد دخول محفل غير محفلهِ وهذه تتغير كل مدة

ومن الامور الجديدة في الماسونية الفرنسوية انتظام النساءِ في المحافل مع رجالهم او اولادهم . لكن الشرق الاعظم والمحفل الاعظم لم يوافقا على ذلك حتى الآن ولا منعاهُ بل حسبا انهُ يستحق الامتحان ولا يبعد ان يوافقا عليهِ وتزيد قوة الماسونية وفائدتها بانتظام النساءِ فيها مع رجالهم

وقد اخذت المحافل الماسونية تبحث في كثير من المسائل العمومية كأنها اندية علميَّة ففي لائحة المواضيع التي عُرضت للبحث في ٦ دسمبر الماضي وفي ١٣ منهُ ما ياتي "سبب قلَّة السكان في فرنسا" . "نسبة الماسونية الى الاحزاب السياسية" . "واجبات اصحاب المعامل نحو عمالهم" . "أتستطيع الماسونية ان تمنع الحروب الاوربيَّة" . "العلاقة بين ارتقاءِ الوطنية وبين حقوق الانسان" . واختار بعض محافل باريس جماعة من العلماءِ لتلاوة الخطب في المواضيع الفلسفية والطبيعيَّة كعلم الدين . والمادة والحركة . وتولُّد العوالم . واصل الحياة . ويهتمُّ رئيس المحفل الاعظم الآن بتقليل نفقات الدعاوى على المتداعين وفي انشاءِ شركة لضمانة الحياة تكون اقل نفقات من غيرها ونحو ذلك من الاعمال التي تعود بالنفع على جمهور الماسون

وقد اثَّرت الجرائد الفرنسوية في نفوس الماسون في فرنسا بما تنشرهُ من نسبة كل الفضائل الى البوير في هذه الحرب وكل الرذائل الى الانكليز وهم لا يطالعون غير جرائد بلادهم فحُملوا على لوم الانكليز مثل غيرهم من ابناءِ وطنهم وتظهر خلاصة آرائهم في ما اقرَّ عليهِ احد محافلهم وهو

"من حيث ان الحرب اشد بليَّة تحمَّلها نوع الانسان ولا يزال يتحملها متألمًا منها . ومن حيث انها تثير ادنى اخلاق الانسان تحت رداءِ الشرف والشجاعة ومحبة الوطن ونحو ذلك من

الاخلاق الكريمة. ومن حيث انهُ يحق لكل الناس ان يعيشوا احرارًا اينما كانوا . ومن حيث ان حرية الامم والافراد لا حدّ لها الاَّ عند حرية الغير . ومن حيث ان حرب الانكليز والبوير تدلُّ الدلائل على انها ستدوم الى ان تنقرض امَّة احترمت حريَّة غيرها ولم تتهدَّد حرية الانكليز لا في اوربا ولا في املاكهم الخارجة عن اوربا . ومن حيث ان الماسونية اخوية عامَّة لا تقدر ان تحصر اميالها الانسانية في امة واحدة او شعب واحد . ومن حيث ان الماسون اكثر عددًا في انكلترا ممَّا هم في اية بلاد أُخرى . فهذا المحفل يتوسل الى الماسون الانكليز بحق الانسانية ولمصلحة انكلترا العظمى ان يبذلوا اقصى جهدهم في اقناع حكومتهم بابطال هذه الحرب التي اقفر بها جنوب افريقية والتي ستكون لطخة سوداء على مجد الامَّة العظيمة التي كانت مهد الحرية وبقيت مقرها الوحيد في اوربا سنين كثيرة"

ثم لما شاع ان وفيات اولاد البوير كثرت في الملاجئ الانكليزية اعترض المحفل الأعظم على ذلك وبعث الى محفل سويسرا ليرفع اعتراضهُ الى المحافل الانكليزية فاجابها ملك الانكليز "ان البوير الذين في الملاجئ غير مقيدين بالبقاء فيها ولهم الحرية المطلقة ليذهبوا اين شاؤُوا وقد اضطرَّ الانكليز اضطرارًا ان يقيموا هذه الملاجئ لنساء البوير واولادهم لما رأَوا ان رجالهم تركوهم لا طعام ولا مأوى" . فلما نُشر هذا الجواب كفَّت الجرائد الفرنسوية عن الانتقاد والتقريع

الاَّ ان الهمَّ الاكبر لماسون فرنسا سياسة بلادهم والفوارق الدينية لا تفرق بينهم فينتظم في سلكهم الكاثوليكي والبروتستانتي واليهودي والمعطّل على حدٍّ سوى بشرط ان يكون جمهوريًّا واما اذا كان ملكيًّا فلا يقبلونهُ بينهم مهما كان مذهبهُ كان محافلهم اقسام من مجلس النواب من حزب الوسط وحزب الشمال بعضهم جمهوري معتدل وبعضهم جمهوري متطرّف وبعضهم اشتراكي وكلهم خصم للبرنس فكتور نبوليون ولدوق اورليان . ولا يقبلون طالبًا ما لم يثبت لهم انهُ جمهوري ويحسبون انهم والملكيون على طرفي نقيض ويقيمون دليلاً على فساد الحكم الملكي والامبراطوري ما فعلهُ نبوليون الثالث من سَوْق فرنسا الى ميدان الحرب الفرنسوية الالمانية لمطامعهِ الشخصيَّة . اما الجمهورية فلا تستطيع ان تسوق امَّة الى حرب ما لم يكن اكثر نوَّاب الامَّة راضين بذلك فالماسونية الفرنسوية من الوسائط الفعالة لحفظ السلام في اوربا

وتُتَّهم الماسونية الفرنسوية بانها معادية للدين وهذه التهمة باطلة والحقيقة انها تقاوم الكنيسة الرومانية في انتصارها للملكيَّة لا غير ولكنها لا تقاوم البروتستانت ولا اليهود ولاغيرهم من اصحاب المذاهب الاخرى لانهم لا ينتصرون للملكيَّة . ورئيسها الحالي كان قسًّا في الكنيسة

المصلحة من كنائس البروتستانت . ثم ان البروتستانت الذين فيها على شدَّة تمسكهم بديانتهم لا يمتنعون عن الاجتماع مع المعطلين واللاادريين وذلك دليل قاطع على ان محافل الماسونية في فرنسا صارت مجتمعات سياسية تبحث في المسائل السياسية والاجتماعية لا غير وهمُّها الاكبر الاحتفاظ بالحكومة الجمهورية ولا تتعرَّض للمسائل الدينية مطلقاً

ماذا تود ان تكون

اقترح محرر مجلَّة لندن على بعض المشاهير اقتراحاً غريباً في بابهِ سأل كلاً منهم ماذا تودُّ ان تكون لو لم تكن كما انت . فوردت عليهِ الاجوبة التالية

اجاب السر هنري ارڤنغ وهو اشهر الممثلين الآن في البلاد الانكليزية وللتمثيل مقام رفيع عندهم حتى لم يأنف من ذكرهِ اولاً . " اني اود ان اكون محرر مجلَّة لندن واكون مثلهُ قادراً على ابتكار المواضيع الجديدة لتسلية الناس وازالة السآمة من نفوسهم "

وقد عقَّب المحرّر على هذا الجواب قائلاً انهُ اذا حرر السر هنري ارڤنغ هذه المجلَّة فاقت مجلات العصر ولكنهُ لو علم مقدار المتاعب والمشاق التي شيَّبت رأس المحرر وغضَّنت جبينهُ لعدل عن هذه الامنيَّة

واجابت مس ايرين فانبرو وهي من الممثلات ايضاً "انني اود ان لا اكون شيئاً "

واجاب المستر لويس وولر وهو من كبار الممثلين " اني اود ان اكون من اصحاب الملايين"

واجاب المستر سسل رالي منشىء الروايات التمثيليَّة " اود ان اكون رئيس اساقفة كنتربري او مساعداً لمحرر مجلَّة لندن". وعقَّب المحرر على ذلك قائلاً اما منصب رئيس اساقفة كنتربري فيستحق ان تطمح اليهِ الانظار ويعصب لهُ الريق والمستر رالي يقوم باعبائهِ حتماً واما اذا استبدلَ خرفتهُ بالحرفة الثانية فلا بدَّ لهُ من ان يندم

واجاب المستر كلمنت سكوت منتقد الروايات والتمثيل "اود ان اكون فلاَّحاً امتلك ابعدية لاني مغرم بحب الطبيعة والهواء النقي واحبُّ ان اعبد الله في الفضاء يا لها من عيشة راضية بين الطيور اذ يستريح المرءُ حينما تستريح الطبيعة . اني اعتقد بتقمص الارواح وارجو ان اصير من خدَمة الدين حينما اولد ثانية بعد الوف وملايين من السنين "

واجاب المستر برناند محرر جريدة بنتش الهزلية الانتقادية قائلاً " لا اعلم حقيقةً ماذا اودُّ ان اكون ومع ذلك اود ان اكون واحداً من اصحاب الملايين أيّاً كان "

واجاب الجنرال غرفث وهو من رجال السيف والقلم المعدودين "لا اريد ان اكون غير ما انا فان حالتي الحاضرة هي غاية ما كنتُ اتمنّاه في صباي وددت ان اصير جنديًّا فصرتُ وان أُعدَّ في مصاف الكتّاب فعُدِدْتُ ولو بدأْت الحياة من جديد لتمنّيتُ ان اسير في الخطة التي سرت فيها اولاً"

واجاب الجنرال السر اقلن وود "لو لم اكن جنرالاً لوددت ان اكون بورجيًّا"

واجاب السر فرنسيس جون رئيس محكمة الاحوال الشخصية في المحكمة العليا "لو لم اكن قاضياً لوددت ان اكون قاضياً ولكن سوءُ الكم يقضي على المرء ان يختار حرفةً غير حرفتهِ فان كان الامر كذلك فاودُّ ان اكون موظفاً ملكيًّا في حكومة الهند"

واجاب المحامي الشهور السر ادورد كلارك "ان حرفتي تسرُّني وانا راضٍ بها ولا خبرة لي بغيرها"

واجاب المستر مكس بمبرتن وهو من كبار المحررين "ان اصلاح المسودات يثقل عليَّ احيانًا حتى اود ان اكون واحدًا من اصحاب الاملاك الذين يعيشون في الارياف . واني افضل ذلك على ان اكون رئيس اساقفة كنتربري"

واجاب المستر هربرت ڤقيان "اتمنّى احيانًا ان اكون رئيس اساقفة كنتربري واحيانًا ان اكون رئيس النظار ولو خُيّرت لاخترت ان اكون الاثنين معاً فاجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية وافضّل على ذلك ان اكون ملك مملكة صغيرة مستقلة اهلها على تمام الولاء لمالكهم"

واجاب كثيرون من القسوس وخدمة الدين اجوبة متفقة في انهم لا يودون ان يبدلوا حرفتهم بغيرها الاَّ واحدًا منهم فانهُ قال لو لم يكن من نصيبي ان اكون قسيسًا لوددت ان اكون محامياً

وقال السر روبرت اندرسن رئيس مجلس تحقيق الجنايات "كنت في صباي ميّالاً الى ان اكون محامياً ولو لم أُغرَ بخدمة الحكومة اغراءً لصرتُ محامياً ومع ذلك فاني افضل الآن خدمة الدين على المحاماة"

وقال المسيو بول بلوه الكاتب المشهور "لو خُيرت لاخترت ان اكون محامياً ولو لم يكن لي والدان علماني واعتنيا بي لوددت ان اكون نجّارًا"

وقال السر هري جنستن الرحّالة المشهور مكتشف حيوان الاكابي في قلب افريقية "اني اخترت عملي اختيارًا بعد التروي وانعام النظر ولو اعطيتُ نفسي هواها لقضيتُ جانبًا من عمري في التصوير ودرس طبائع الحيوان والنبات"

هؤلاء من الذين رضوا ان تنشر اسماؤُهم اما الذين لم يرضوا ان تنشر فمنهم محرر جريدة

اسبوعية ومجلة شهرية قال " لو لم اكن صحافيًّا لوددت ان اكون سمسارًا في البورصة "

ومؤلف كتاب سنوي مشهور قال " اعطني خمسة آلاف جنيه في السنة فاترك لك المدينة ومَن فيها واعتزل في بلد من بلاد الارياف واسكن كوخًا صغيرًا بعيدًا عن جلبة الناس "

وقال محرر آخر اميركي " اود ان اكون رحّالة اطوف في المسكونة وادرس طبائع اهلها واخلاقهم "

هذا واماني الانسان الواحد تختلف باختلاف احوالهِ من الراحة والتعب والصحة والمرض والنجاح والفشل فتجدهُ تارةً راضيًا بحرفتهِ قانعًا بها لا يودُّ ابدالها بغيرها وتارةً كارهًا لها مفضلاً كل حرفة عليها . فلو طُرح السؤَال المتقدم على هؤُلاء الناس في اوقات أُخرى لاجابوا عنهُ اجوبة تقرب من اجوبتهم هذه او تبعد عنها حسب الحالة التي يكونون فيها حينما يطرح السؤَال عليهم الاَّ تمني الثروة فانهُ دائم ولو لم يجاهر كثيرون بهِ

المرأة الشرقية

وعلة تأخرها

اطلعت في جريدة الديلي ميل الانكليزية على مقالةٍ لسفير الصين في الولايات المتحدة عنوانها " لماذا اعجب بالنساء الاميركيات " وتحت العنوان هذا الجواب " لانهنَّ دائمًا مشغولات " فلخصتها في ما يلي . قال السفير :

" لا اكتم القارئ أَنَّ المرأَة الاميركية لها عندي منزلة رفيعة أَنظرُ اليها بعين الاعجاب والاحترام وقد أَسعدني الحظُّ بأَن قضيت نحو خمس سنين سفيرًا للصين في وشنطون عاصمة الولايات المتحدة فحضرت اجتماعاتٍ عديدةً لقيتُ فيها عددًا كثيرًا من النساء الاميركيات فجالستهنَّ وعاشرتهنَّ وسبرتُ غور احوالهنَّ وعرفتُ كثيرًا من امورهنَّ المنزلية والاجتماعية . ولم يكن اختباري لهنَّ مقصورًا على ما شاهدتهُ منهنَّ في المحافل التي جمعتني بهنَّ في وشنطون لانني جوَّلت كثيرًا في أَنحاء اميركا وخطبت خطبًا متعددة في مدارسها الكلية وانديتها التجارية ومحافلها الادبية وزرت ما لا يحصى من بيوتها ومنازلها حتى احطتُ علمًا بعوائد الشعب واخلاق الامة وجميع احوال السكَّان

فمَّا شاقني من المرأَة الاميركية اعتمادها على نفسها واستقلالها بالعناية بجميع شؤُونها في السفر . فقد صحبت كثيراتٍ منهنَّ في سفراتي الطويلة وكنتُ أُعجب بكلّ منهنَّ حين أَراها منصرفةً بنفسها الى قضاء حاجات السفر المتنوعة وتجشم مشاقهِ المختلفة كأَنها رجل عبر

اسفار فكانت تبتاع تذكرة سكة الحديد وتعتني بما معها من الاثقال وتهتمُّ بان تجد لنفسها مجلساً في القطار حيث تجلس وتنشر بين يديها جريدةً او تفتح كتاباً وتكبُّ على المطالعة براحةٍ واطمئنانٍ ورصانةٍ ووقارٍ كأَنها في بيتها او كأَنها قضت حياتها في السياحات والاسفار. وكانت بهذا كلهِ مجلى الاستقلال الذاتي ومظهراً لتلك الصفة الشريفة التي يمتاز بها الشعب الاميركي وهي الاعتماد على النفس. ولست مرتاباً في انك لو كلفتَ المرأَة الاميركية ان تقدم في الغد على سياحةٍ حول الارض وتباشرها وحدها غير مصحوبةٍ برفيقٍ او معينٍ لاقدمَتْ عليها في الحال دون توقُّفٍ ولا امهال

ومن الصفات العقلية التي امتازت بها امرأَة العالم الجديد وفاقت بها غيرها من نساء البلدان المتمدنة سرعة الفهم . فقد راقني ما لقيتهُ فيها من توقُّد الذهن وسرعة الخاطر لانك عند ما تطارحها الحديث بامرٍ تراها في الحال ادركت مغزاهُ مهما كان عويص المبنى غامض المحوى . وقد عنيت بالبحث عن علة هذه النباهة الفائقة فلم استطع لها تعليلاً ولا وجدت الى معرفة سببها سبيلاً . وهذه الصفة يمتاز بها الشعب الاميركي عموماً لكنها في المرأَة الاميركية بالغة حدها من النماء والارتقاء

وبينها وبين اختها الصينية فرق عظيمٌ جدًّا من حيث التركيب الطبيعي وللأُولى ما ليس للثانية من جمال البنية وقوتها وصحتها . ولا يصعب على الباحث ان يعرف علة هذا الفرق فانَّ المرأَة الاميركية مشغوفة بالرياضة في الخلاء ولها على المشي طاقةٌ ليست لغيرها من بنات حوَّاء . وهي قادرة ان تقضي ساعاتٍ في ممارسة جميع انواع الرياضة البدنية التي لا تعرفها نساء الشرق وليس لها اسماءٌ في احدى لغاتهِ . وليس في اميركا من عائقٍ او مانعٍ يعوق حركات المرأَة . وما يستحيل عليها في البلدان الاجنبية ميسور لها في الولايات المتحدة . فتأْتي كل ما تستطيعهُ اختها الانكليزية وتزيد عليهِ . وفي انكلترا يُضرَب المثل بشدة اقتدار النساء على المشي وشيوع ممارستهنَّ لجميع الالعاب البدنية ولذا ترى الفتاة الانكليزية مشهورة بقوتها الجسدية . لكنني وجدت الفتاة الاميركية مثلها في ذلك ان لم اقل اشدَّ منها واقوى . وما اشدَّ احتياج المرأَة الشرقية عموماً والصينية خصوصاً الى هذه القوة

ومما لاحظتهُ ايضاً أَنَّ قليلات من النساء الاميركيات متعرضات لنتائج البطالة الوخيمة لانهنَّ على الدوام مشغولات ولا بدَّ لكلٍّ منهنَّ ان تجد عملاً يشغل ذهنها . وبعد ما تفرغ من قضاء اعمالها المنزلية ولا ترى في نفسها ارتياحاً الى الخروج لممارسة بعض الرياضات البدنية تسمو بها همّتها وتدفعها الاريحية الى اتيان عملٍ من الاعمال الخيرية او الاشتغال بشانٍ من

الشؤون الدينية او الاشتراك في امر من الامور الاجتماعية . وليس لدمها مجالٌ لان يقف في عروقها جامداً جمود الماء الآسن في احد المستنقعات . وفي هذا ما فيهِ من الفائدة العظمى لجهاز التنفس والمنفعة الكبرى لصحة الجسد المتوقفة عليها صحة العقل. انظر الى المرأة الاميركية وهي تمشي ترها جارية بخفةٍ ونشاطٍ تقصر عنهما كل امرأةٍ أُخرى تحت السماء . ولقد طالما شاهدت الفتيات الاميركيات في ابرد ايام الشتاء رائحات في الشوارع وغاديات وقرس الزمهرير يدمي منهنَّ الخدود وجمر الصقيع يحرق الآذان وهنَّ غير مباليات بهذا ولا بذاك بل سائرات على قدم الارتياح والانتعاش يستنشقنَ الهواء النقي المقوي للابدان

واذا جالستها رأيتَ منها جليساً لا يُملُّ حديثهُ ووجدتها خزانة علوم وذخيرة آداب وفنون لأنها فوق ما تعلَّمتهُ في المدارس البسيطة والكلية لا تكفُّ عن مطالعات الروايات الجديدة والمجلات الشهرية والجرائد اليومية فتحدثك عن المعاهدات السياسية والحوادث المحلية والاخبار الخارجية الواردة من عواصم اوربا ومن جنوب افريقية والشرق الادنى والاقصى وغيرها من مشارق الارض ومغاربها . ولعلَّ ذلك ناتج عن كثرة مخالطتها للرجال ليس في بيتها فقط بل في الولائم والحفلات وغيرهما من الاجتماعات العمومية فترى مبلغ الرجال من معرفة هذه الامور وتميل الى مباراتهم ومشاكلتهم وتأنف ان تظهر بينهم بمظهر البلادة والخمول

وقد أراني الاختبار الطويل انها تفوق في الحديث كثيرات من اترابها ومن يحدّث فتاةً اميركية يرَ نفسهُ منصرفاً لبحث عقليّ لا لحديثٍ يراد بهِ التسلية والفكاهة اذ يجدها تتكلم عن الحياة بتروّ وتدبُّرٍ وحذقٍ وذكاءٍ ونباهة شأنٍ وسعة اطلاعٍ شيمة الحكيم الخبير . واذا دار الحديث على الرجال اوعلى الامور المتعلقة بالهيئة الاجتماعية صرَّحت برأيها في ذلك كلهِ بلا لجاجة او التباس . واذا استطاعت وافقتك على افكارك والاَّ جاهرت بافكارها الخاصة على اسلوبٍ شائقٍ فلا يسعك الاَّ الاعجاب بها وان كنت بعض الاحيان لا تراها صحيحة . واذا احتاجت في حديثها الى الجدل والاحتجاج اتت ذلك على احسن منوال وفاقت فيهِ ابرع الرجال . فليس عجيباً والحالة هذه أنَّ كثيرات من النساء الاميركيات بلغنَ بواسطة اقلامهنَّ شهرةً مستطيرةً وجمعنَ ثروةً كثيرة. فانهنَّ يكتبنَ كما يتكلمنَ بسهولةٍ رائقةٍ وفصاحةٍ شائقة وبلاغة فائقة. ومع شدة رغبتها في العلوم والمعارف لا تهمل العناية بملابسها واستكمالها الشروط التي تقتضيها الازياء المستفيضة في العالم الغربي . ولهذا ترى حتى المتوسطة الحال اذا خرجت من بيتها لزيارة او عيادة او تنزُّهٍ لبست احسن ملبسٍ تجلَّت فيهِ الكياسة وتمثَّلت سلامة الذوق وحسن التناول

ويعجبني منها ايضاً إخلاصها وصدق عاطفتها واستقامة مباديها . ولا يغرب عن ذهن المطالع اني في كلامي على المرأة الاميركية لا أُريد بها نوعاً قائماً بنفسهِ بل اقصد جنساً مركباً — خليطاً من كل الانواع . فهي آخذة بثبات الفتاة الانكليزية واستقامتها ورشاقة الفرنسوية وانتعاشها وجمال الاسبانية ورخامة صوت الايطالية ورصانة الالمانية . وبالاختصار اقول انها جامعة لمحاسن جميع النساء الاوربيات . وحاصلة علي اجل المزايا واجمل الصفات . اه

ولما فرغتُ من تعريب ما تقدَّم عرض لي خاطرٌ كانهُ من بقية تلك "الهواجس او الوساوس" المعلومة فملَكتُ الخاطرَ العارضَ قياد افكاري واوغلت في التأَمُّل والافتكار . واذ قد نقلتُ الى القراء ما ارتآهُ "السفير الصيني" في المرأة الاميركية أَحببتُ ايضاً أَن اطلعهم على خلاصة ما جال في خاطري غير جاهلٍ اني مخالفٌ فيهِ لرأي الكثيرين منهم ولهذا اعرضهُ على مَن شاء منهم أَن يتكرم بانتقادهِ او يودُّ المناظرة فيهِ توصُّلاً الى الحقيقة فاقول

خطر ببالي حينئذٍ أَنَّ كتَّابنا وخطباءَنا ملاوا صفحات المجلات واعمدة الصحف والجرائد وأوقروا المسامع والآذان بما كتبوهُ تاليفاً وتعريباً وفاهوا بهِ على المنابر وفي صدور المجالس بخصوص المرأة الغربية الاوربية والاميركية ولا نزال نرى مجال الكلام عليها ذا سعةٍ سواءٌ كان مما تكتبهُ هي نفسها او مما يصفها بهِ ابن جنسها او يرويهِ عنها الشرقيُّ المستوطن بلادها والسائح في أَرضها . وهذا كلهُ علي اختلافِ مصادرهِ وتنوُّع مواضيعهِ يتلقاهُ المطالعُ او السامع بمزيد الهشاشة والارتياح ويُعجب بتقدم فتاة الغرب كل الإعجاب وقد يدهشهُ الامرُ ويداخلهُ في صحتهِ بعض الشكِّ والارتياب

هذا ما نراهُ كل يومٍ تقريباً لكننا لسوءِ الحظِّ لم نرَ احد كتَّابنا او خطبائنا او الاجانب المستوطنين بلادنا او السائحين فيها اتخذ المرأة الشرقية لمقالتهِ او خطبتهِ موضوعاً استمال الابصار والآذان ونال عند قارئيهِ او سامعيهِ ما ينالهُ الكلام على المرأة الغربية من الاعجاب والاستحسان . واكثر ما جاءَ في كلام كتَّابنا وخطبائنا عليها اما هجاءٌ سداهُ التحامل ولحمتهُ الافتراء يمثّل المرأة الشرقية أَحطَّ شاناً من كلِّ بنات حواءَ او مدح حاكهُ التملُّق ونمَّقهُ الرياءُ . يصوّرُ فتاة الشرق فريدة عقد النساء او ملكاً هبط من السماء . وكلاهما اضرَّا بها ضرراً بليغاً فلم تَعُد تقبل نصحاً ولا ارشاداً لانها تعوَّدت المدح والاطراءَ حتى صارت تعدُّ كل كلام يساق اليها وهو خالٍ من تعظيمها وتبجيلها ذمًّا فاضحاً وهجاءً فادحاً

واذا اتَّقى الله كاتبٌ منَّا وأَراد أَن يغرِّر بنفسهِ ويقرِّر بعض الحقائق عن المرأة الشرقية وتوخَّى الانصاف والاعتدال في كتابتهِ وتنكَّب التدليس والمجاملة كان نصيبهُ نصيب من تقدَّمهُ

في هذا الطريق ولقيَ من حملات المرأة نفسها وهجمات اعداء الحقيقة وادعياء الدفاع عن حقوق المرأة صدمات تقلقل الجبال فضلاً عن الرجال

وممَّا تقدَّم يرى القارئ ان الذين كتبوا منا في المرأة الشرقية هم في نظر المرأة وانصارها فريقان فريق سخَّر يراعهُ لكتابة ما هبط عليهِ من سماء ميلها وهواها فأمن سخطها وغنم رضاها وفريقٌ تنقَّصها ما شاء وحطَّها الى أدنى من منزلتها عند النصيرية فكان من المغضوب عليهم . اما الذين لزموا في ما كتبوهُ عنها خطة الاعتدال فهم معدودون في حكمها من الفريق الثاني فلا يطمعون ان يُفيدوها شيئاً بما يكتبونهُ عنها ولا يؤملون ان يربحوا من خدمتهم الادبية لها سوى الوعيد والتهديد

فاقلُّ ضرر اتاهُ الفريقان المتقدم ذكرهما انهما اضاعا مزية الخدمة التي تحرَّى كتابنا المعتدلون ان يقوموا بها وحرما المرأة الانتفاع بما قرَّروهُ عنها من الحقائق المفيدة . اذاً املنا ضعيفٌ جدًّا باستفادة المرأة الشرقية مما تخطهُّ عنها اقلام كتَّابنا ولهذا تراهم الآن منصرفين في توخي فائدتها الى جهةٍ اخرى وهي الكلام على ما بلغت اليهِ معرفتهم من صفات المرأة الغربية واخلاقها وعوائدها وكل ما يتعلَّق بنشأتها الحديثة ونهضتها الجديدة لعلَّ فتاتنا الشرقية ترى في ذلك ما يشوقها الى التمثل بها . ومع استصوابي لهذه الطريقة واعترافي بانها افضل من الطريقة المتقدم ذكرها وتعويلي عليها في هذه المقالة ارى عند زيادة التأمل والافتكار انها لسوء الحظّ غير وافية بالمرام ولا ضامنة للغاية المقصودة منها وهذه حقيقة مكدرة كان من الواجب اغفالها والسكوت عنها لولا اننا ابتدأنا بحمد الله نالف تقرير الحقائق المحزنة ولعلَّ هذه احسن خطوةٍ خطوناها في طريق الاصلاح

اما وجه الريب في حصول الفائدة المطلوبة من تشويق المرأة الشرقية الى الاقتداء بالغربية بواسطة اطلاعها على ما نكتبهُ لها عنها فهو ان المحتاجات من نسائنا الى الإصلاح اكثرهنَّ لا يعرفنَ القراءة فلا يستفدن شيئاً مما يُكتب لهنَّ في هذا الموضوع . واما القليلات منهنَّ اللواتي تعلَّمنَ في المدارس ويستطعن ان يقرأن ويدركن كل ما يراد من الكلام في هذا الشأن فجانبٌ عظيمٌ منهنَّ لا يطالعنَ ما نكتبهُ لهنَّ اما لعدم استطاعتهنَّ التفرُّغ للمطالعة او لانهنَّ يرين في مطالعة الصحف العربية حطةً لشأن تمدنهنَّ الجديد او لانهن لا يجدن انفسهنَّ في حاجةٍ الى زيادة ما تعلمنهُ في المدرسة او لغير ذلك من الاسباب وبين الباقيات مَن هنَّ بالحقيقة غير محتاجاتٍ كثيراً الى الوقوف على كلّ ما نكتبهُ لانهنَّ حاصلات على مقدار عظيم من الاستنارة والتهذيب ولا تمكنهنَّ الاحوال من المزيد

وعلى القارىء ان ينظر بعد كل هذا الاسقاط والتجريد والاستثناء ليرى كم يبلغ عدد النساء الشرقيات اللواتي يطالعنَ ما يكتبهُ لهنَّ كتَّابنا ولعلهُ اذا اضاف الى كل ما تقدم من الاعتبارات ما يجنيهِ رجالنا حتى على تلك البقية القليلة من المطالعات لكُتُبنا ومجلاتنا وجرائدنا لا يلبث ان يعتقد اعتقادي من جهة هذا الامر ويحكم معي بان عدد القارئات المستفيدات قلَّما يتجاوز المئات وقد يعجب المطالع من تعريفي بجناية رجالنا على نسائنا لانهُ لم يخطر بباله ان لرجالنا يداً في تأَخُّر نسائنا الحالي . اما انا فاقول لهُ إن رجالنا هم علة تأَخر المرأة الشرقية وآفة مجاراتها للمرأة الغربية في طريق التقدم والارتقاء ولا اقصد برجالنا ذلك الفريق الكبير الكثير العدد الباقي نظير اكثر نسائنا على حال الفطرة والسذاجة فان هؤلاء براءٌ من هذا الذنب مع اشتراكهم فيهِ لانهم لا يستطيعون ان يدركوا اهمية حصول المرأة على شيءٍ هم انفسهم لهُ فاقدون . واذا كانوا يعدُّون تعليم الرجل نكرًا فلا بدع ان حسبوا تعليم المرأة ضلالاً وكفراً وقضوا بان يسدل على نهاها حجاب اكثف من حجاب محياها ولكنَّ الذنب كلَّ الذنب على اخدان النشأَة الحديثة واخوان النهضة الجديدة — على الذين تخرَّجوا منا في المدارس الكبرى وارضعوا لبان العلوم والمعارف وجاروا الاوربيين في درس لغاتهم واقتباس شيءٍ كثيرٍ من عاداتهم ومصطلحاتهم — على الذين جالوا منا في عواصم البلدان الغربية وامهات مدنها وطالعوا كثيراً مما كتب عن تمدُّن الافرنج وسرّ ارتقائهم وتقدمهم — عليك انت ايها القارئُ وعليَّ انا وعلى كل فرد من فريق الكتَّاب وجمهور القراء . نحن علة تأَخُّر نسائنا وعلينا تبعة قصور المرأة الشرقية عن مجاراة المرأة الغربية

لا يُنكر ان فريقاً منَّا في مصر والشام بلغوا في سلّم الارتقاء الحديث درجةً رفعتهم عن كثيرين من باقي مواطنيهم ولكن ماذا كان من امر ارتقائهم هذا ؟ هل زاد زيادة تنطبق على ناموس التقدم والارتقاء ؟ هل تكاثر عدد المرتقين منا منذ نحو نصف قرن كما كان ينبغي وكما نرى الحال في تاريخ ارتقاء الامم الغربية ؟ ولماذا وقفنا في سلّم الارتقاء فلم يزدد عددنا كما يجب ولا ارتفعت درجتنا كما ينبغي بل كدنا نكون الآن من حيث درجتنا وعددنا كما كنَّا منذ عشرات من السنين ؟ هذه اسئلة يجيب عليها كل منا بما يحضرهُ من الاجوبة والاسباب. اما أنا فأُجيب — ولو خالفت كثيرين من الباحثين — بقولي ان علَّة ذلك كوننا قد خالفنا في ارتقائنا السنَّة التي درج عليها غيرنا من الامم المرتقية لاننا نهضنا للتقدم ونحن اشبهُ بالمسافر بلا زاد والمحارب بلا سلاحٍ اي اننا اعددنا ارجلنا للعروج في سلم الارتقاء وحدنا — رجالاً بلا نساء . لم نهتمَّ بان نصعد معنا مثل عددنا او مثل نصفهِ على الاقلّ من فتياتنا بل تركناهنَّ

حيث كنا وصعدنا وحدنا حتى اذا بلغنا الدرجة التي نحن فيها الآن نظرنا الى اسفل — الى الدرجات التي اجتزناها — فاذا هي خالية او غير مزدحمة باقدام غيرنا من ابناء جنسنا المقتدين بنا في الصعود والارتقاء ورأينا عند اسفل السلم على الدرجة الاولى والثانية بعض الفتيان والفتيات واقفين او يحاولون الصعود لكنهم لا يبلغون الدرجة الثالثة والرابعة الاَّ رأيناهم خاروا عزماً وضاقوا ذرعاً وهبطوا الى حيث كانوا او هووا الى اسفل وقليلون منهم الذين استطاعوا الوصول الينا. وما دمنا كنَّا تقريباً رجالاً والنساء اللواتي بيننا لا يتجاوزن الاصابع عداً والذين يأخذون أخذنا قليلون فلا غروَ ان لم يزدد عددنا ولا ارتفعت درجتنا بل ليس عجيباً أن نقصنا بدل الزيادة وهبطنا عوضاً عن الارتفاع

وهذا الخطأُ الذي ارتكبناه في البداءة لم نعترف بهِ ونعمد الى اصلاحهِ بل اصررنا على ارتكابهِ الى الآن وبيان ذلك اننا عند ما نلتفت الى المرأة الشرقية ونراها احط من رجلها في سلم الارتقاء لا نشعر بالضرر العظيم الذي اصابنا من جرَّاء ذلك ونطاعها على حقيقة الامر بلسان الرقة ونمد لها يدَ التنشيط والترغيب حتى تقوى على الصعود وتبلغ الدرجة التي وقفنا عندها وتضافرنا على الصعود الى ما بعدها . لم نفعل شيئاً من هذا كلهِ بل انصرف فريق منا نحو لومها على ضعفها وانحطاطها واغفلها فريق آخر عاداً اياها غير اهل لان يعنى بشأنها ولا فائدة من تكلف اصلاحها ولذا لم يعد يروق لهُ غير مسامرة النساء الاوربيات اللواتي هنَّ من درجتهِ في التمدن والارتقاء وادَّعى فريق ثالث ان لا حاجة الى ارتقائها ومجاراتها لنا في سبيل التمدن الحديث عاداً تهذيبها رأياً فائلاً او سيفاً في يد أحمق . ولو جمعتَ احد اصحاب هذه الافكار ببعض السيدات لرأيتَ منهُ ما شئت من المضحكات المبكيات فانهُ اذا رأى انهنَّ من المتعلمات الصاعدات بعض درجات في سلم الارتقاء حكم لهنَّ بانهنَّ ارقى شأناً من الاوربيات وحتم بوجوب تعليم النساء وذمَّ الرجال الذين يعارضون في هذا الامر العظيم الاهمية . واذا حضر مجلساً آخر ضمَّ بعض السيدات الاميّات صوَّب رأيهنَّ في تجنُّب العلم واضراره وبالغ في ذمّ العاكفات على تحصيلهِ وتخطئة الرجال الذين يحثون النساء على سلوك سبيلهِ . واذا رام خطبة فتاة غضَّ النظر عن مبلغها من العلم والادب وقصرهُ على ما عندها من المال وعليها من الجمال

واغربُ من هذا وذاك انك اذا قرأتَ لاحدى نسائنا او لاحد انصارهنَّ من الرجال دفاعاً عن المرأة الشرقية رأيتهُ كلهُ على اسلوبٍ واحدٍ لا يتعدى ثلاثة امور الاول هضم الرجال لحقوق المرأة والثاني الاستشهاد على فضل النساء واقتدارهنَّ على مجاراة الرجال بالنساء الغربيَّات والثالث الاستشهاد باللواتي نبغنَ من نسائنا في العصور الخوالي وهذا الاخير يمثّل دفاعنا عن

قصورنا في جميع الامور التي نحن في اشد الاحتياج اليها في هذه الايام . فاذا اردنا ذوداً او دفاعاً عمَّا نُرْمى بهِ اليوم من القصور عن مجاراة اهل العالم المتمدن في اللغة والنساء وكرم الاغنياء وبسالة الرجال وعدل الحكام وغير ذلك من معدات الحضارة ومناقب الامم المرتقية أَخذنا نطبل ونزمّر بمشاهير فصحاء العرب وبلغائهم ونوابغ نسائهم وسخاء حاتمهم وشجاعة عنترهم وحلم معنهم وعدل خلفائهم ولم نستطع لسوء الحظّ ان نستشهد باثرٍ حيٍّ يحسن ذكره ويطيب نشره

وعندي أَنَّ المرأة الشرقية كاللغة العربية في حاجةٍ شديدةٍ الى الترقية والاصلاح . وتبعة قصور كلٍّ منهما علينا نحن الرجال . وقبلما نحاول رفع الحجاب عن وجه المرأة الشرقية علينا ان نرفعهُ عن هذه الحقيقة المهمة ونعترف باننا نحن مقصرون في ترقية فتاة الشرق ونكف عن لومها وتحقيرها من جهة وعن تملقها ومداهنتها من جهة أُخرى ونصرح لها على رؤُوس الاشهاد اننا نفضل علمها وتهذيبها وادبها وكمالها على زينتها وحلاها وما لها وجمالها . فان فعلنا هذا فتحنا باب الارتقاء والاَّ فامم المشرق صائرة الى الفناء

اسعد داغر

السعي والارتزاق

قرأت في كتاب نزهة الناظرين للشيخ تقي الدين عبد الملك البابي خطيب الجامع الاموي الشهير بالشيخ عُبَيْد الضرير فصلاً جمع من الآيات الكتابية والاحاديث النبوية واقوال السلف الصالح ما يجب ان يستظهرهُ كل احد ويعمل بهِ وها كم بعض هذه الآيات والاحاديث والاقوال

اذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . آية

لان يحتطب احدكم حزمة على ظهرهِ خيرٌ لهُ من ان يسأَل احداً فيعطيهُ او يمنعهُ . حديث رواهُ البخاري ومسلم

ما اكل احد طعاماً قط خيراً من عمل يدهِ . حديث رواهُ البخاري

التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . حديث

مَن طلب الدنيا حلالاً تعففًا عن المسئلة وسعياً على عيالهِ وتعطفًا على جارهِ لقي الله ووجههُ كالقمر ليلة البدر . حديث روي مرفوعاً وموقوفاً على الصحابة

طلبُ الحلال جهادٌ وان الله يحب العبد المحترف . حديث

مَن امسى كالاًّ من عمل يدهِ امسى مغفورًا لهُ . حديث

كان اصحاب رسول الله يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم والقدوة بهم . قالهُ ابن عباس

لو توكلتم على الله حقَّ توكلهِ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . حديث معناهُ تذهب اول النهار خماصاً ضامرة البطون من الجوع وترجع آخرهُ ممتلئة . قال الامام احمد ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيهِ ما يدلُّ على طلب الرزق وانما اراد والله اعلم لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرُّفهم وعلموا ان الخير بيدهِ ومن عندهِ لم ينصرفوا الاَّ سالمين غانمين كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . وفي الشعب للبيهقي ان عُمَر رضي الله عنهُ لقي ناساً من اهل اليمن فقال ما انتم قالوا متوكلون فقال كذبتم انتم متآكلون انما المتوكل رجل القى حبةً في التراب وتوكل على رب الارباب . وقال ابو سليمان الداراني من ائمة الصوفية ليس العبادة عندنا ان تصفَّ قدميك وغيرك يتعب لك ولكن ابدأْ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبَّدْ . ورُوي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقهِ حزمة حطب فقال لهُ الى متى هذا يا ابا اسحق اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانهُ بلغني انهُ مَن وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت لهُ الجنَّة

لو بسط الله الرزق لعبادهِ لبغَوْا في الارض . آية . قال شقيق بن ابرهيم في تفسيرها لو ان الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد

ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منهُ انسان او طير او بهيم الاَّ كانت لهُ صَدَقة . حديث

خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرْز (الخياطة) . حديث

لو اتجَرَ اهل الجنَّة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصَّرْف . حديث

وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله . اية يعني المسافرين للتجارة

قيل لعبد الرحمن بن عوف الصحابي ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددتُ ربحاً قط ولا طُلِب مني حيوان فاخَّرت بيعهُ ولا بعت بنسيئة (ديناً)

وكان عليٌّ رضي الله عنهُ يدور في سوق الكوفة ويقول معاشر التجَّار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردُّوا قليل الربح فتحرموا كثيرهُ . انتهى

وقرأتُ في الجامع الصغير للسيوطي

اطيب الكسب عمل الرجل بيدهِ وكل بيع مبرور . رواهُ الامام احمد والطبراني والحاكم

ان الله يحب العبد المحترف . رواهُ الطبراني

البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما اصبتَ خيرًا فاقِم . رواهُ الامام احمد

خير الكسب كسبُ يد العامل اذا نصح . رواهُ الامام احمد والنصح اتقان العمل

اطلبوا الرزق من خبايا الارض . رواهُ بن عدي والطبراني والبيهقي

اذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب ارزاقكم . رواهُ الطبراني

خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة الغزل . رواهُ ابن عدي

عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء المغزل

ولقد احسن الوزير خير الدين باشا التونسي في ما ذكرهُ في مقدمة كتابهِ اقوم المسالك في احوال الممالك حيث قال

"ان الباعث الاصلي في تاليف الكتاب امران احدهما اغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية وتنمية اسباب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة وترويج سائر الصناعات ونفي اسباب البطالة واساس جميع ذلك حسن الامارة المتولد منهُ الامن المتولد منهُ الامل المتولد منهُ اتقان العمل المشاهد من الممالك الاوروباوية بالعيان وليس بعدهُ بيان

ثانيهما تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الاعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من ان جميع ما عليهِ غير المسلم من السير والتراتيب ينبغي ان يهجر وتآليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر حتى انهم يشددون الانكار على من يستحسن شيئًا منها . وهذا على اطلاقهِ خطأ محض فان الامر اذا كان صادرًا من غيرنا وكان صوابًا موافقًا للادلَّة لا سيما اذا كنا عليهِ وأُخذ من ايدينا فلا وجه لانكارهِ واهمالهِ بل الواجب الحرص على استرجاعهِ واستعمالهِ . وكل متمسك بديانة وان كان يرى غيرهُ ضالاً في ديانتهِ فذلك لا يمنعهُ من الاقتداء بهِ فيما يستحسن في نفسهِ من اعمالهِ المتعلقة بالمصالح الدنيوية كما تفعلهُ الامة الافرنجية فانهم ما زالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يرونهُ حسنًا من اعمالهِ حتى بلغوا الى ما هو مشاهد . وشأن الناقد البصير تمييز الحق بسبار النظر فليس بالرجال يعرف الحق بل بالحق تعرف الرجال والحكمة ضالة المؤمن

لما اشار سلمان الفارسي رضي الله عنهُ على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بان عادة الفرس ان يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصرهم العدو اتقاءً من هجومهِ عليهم اخذ رسول الله صلى الله

عليهِ وسلم برأيهِ وحفر خندقاً للمدينة في غزوة الاحزاب عمل فيهِ بنفسهِ ترغيباً للمسلمين . وقال سيدنا علي كرم الله وجههُ لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال

"واذا ساغ للسلف الصالح اخذ مثل المنطق من غير اهل ملتهم وترجمتهُ من لغة اليونان لما رأوهُ من الآلات النافعة حتى قال الغزالي من لا معرفة لهُ بالمنطق لا يوثق بعلمهِ فاي مانع لنا من اخذ بعض المعارف التي نرى انفسنا محتاجين اليها غاية الاحتياج في دفع المكايد وجلب الفوائد . وفي سنن المهتدين للشيخ المواق المالكي ما نصهُ ان ما نهينا عنهُ من اعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا اما ما فعلوهُ على وفق الندب او الايجاب او الاباحة فانا لا نتركهُ لاجل تعاطيهم اياهُ لان الشرع لم ينهَ عن التشبه بمن يفعل ما اذن الله فيهِ . وفي حاشية العلامة بن عابدين الحنفي ما نصهُ صورة المشابهة فيما تعلق بهِ صلاح العباد لا تضر . على انا اذا تأمَّلنا في حالة هؤلاء المنكرين لما يستحسن من اعمال الافرنج نجدهم يمتنعون من مجاراتهم في ما ينفع من التنظيمات ونتائجها ولا يمتنعون منها في ما يضرهم" . الى ان قال

"ومما يحسن سوقهُ هنا قول بعض المؤلفين من الاوروباويين ان الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها في ما يستجدثونهُ من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية توشك ان تكون غنيمة لهم ومما يؤيد ما قرأناهُ قولهُ صلى الله عليهِ وسلم لعاصم بن ثابت من حديث مَن قاتل فليقاتِل كما يقاتَل . ويوضح معناهُ ما تضمنتهُ وصية الصديق لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما حين بعثهُ لقتال المرتدين فقال يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بمن معك الى ان قال والخوف عند اهل اليمامة فاذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر ثم اذا لاقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك بهِ السهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف. قلت ولو ادرك هذا الزمان لابدل ذلك بمدفع الشخان ومكحلة الابرة والسفينة المدرعة ونحوها من المخترعات التي تتوقف عليها المقاومة

وبناءً على ذلك يقال هنا هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار اليهِ بدون تقدُّم في المعارف واسباب العمران المشاهد عند غيرنا وهل يتيسَّر ذلك التقدُّم بدون اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التاسس على دعامة العدل والحرية اللذين هما اصلان في جميع الممالك" الى ان قال "وفي الحديث العدل عزُّ الدين وبهِ سلاح السلطان وافاد ما معناهُ لا يمكن الاصلاح الاَّ بالعدل وتقدم المعارف"

فعسى ان يرى قرَّاء المقتطف الكرام في هذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاقوال المأثورة ما يعلي في عيونهم منزلة العمل والكسب والاقتداء بالاوربيين في ما يُعَدُّ من اسباب تقدمهم علينا وسبقهم لنا والله الهادي الى الصواب

احد المشتركين

عروسة النيل

الفصل الثالث عشر

ولمَّا فرغت باولين من وصف المحاكمة وما اقرَّ عليهِ القضاة من اعدام حيرام اخذ الغيظ من الطبيب كل مأخذ وقال لا خير لكِ في البقاء في هذا البيت فهو مغارة لصوص وملجا شهود الزور. وبينما هو يتكلم افاق رستم المجوسي وطلب ان يرى سيدهُ فقيل لهُ انهُ برح منف الى الفسطاط ولا يعود الى الغد فجلس في سريرهِ واخذ يشتم الطبيب بالفارسية ويلعنهُ بصوت جهوريّ ردَّدت صداهُ انحاء البيت فدنا فيلبس منهُ يريد تغيير ضماد جرحهِ فامسكهُ رستم بذراعيهِ وحاول جذبهُ الى الارض وهو يزأر كالاسد فنادى فيلبس الممرضة وامرها باستدعاء اثنين من العبيد ثم القى يديهِ على كتفي المريض ودفعهُ عنهُ بعنفٍ فطرحهُ على السرير وقبض على اصابع يديهِ وضغطها شديدًا حتى اعادهُ الى مكانهِ وكانت باولين في خلال ذلك تتأمل الاثنين وهي تعجب بقوة الطبيب وثبات جأشهِ على دمامتهِ ونحولهِ وقلبها يخفق لئلاَّ يتغلب عليهِ ذلك الجبَّار فيصرعهُ فلمَّا انحلَّت عزائمهُ وثاب الى السكينة ناداها فيلبس والتمس منها ان تأتيهُ بحبل او نحوهِ ليشدَّ وثاقهُ فنزعت قناعها وحلَّت نطاقها وعقدتهما ثم اعانت الطبيب على ربط يديهِ. وعادت الممرضة بالعبدين فامرهما فيلبس بملازمتهِ ومنعهِ عن الوثوب من سريرهِ ثم فتح صندوق الادوية واشار الى زجاجة فيهِ فتناولتها باولين وسكبت منها جرعة مزجتها بغيرها بحسب ارشادهِ وسكبتها في فم المريض ولم يلبث الدواءُ ان فعل فعلهُ حتى قام فيلبس فغسل الجرح وابدل الضماد وافاقت ماندانى على الجلبة وبدا الخوف والاضطراب في وجهها فاخذت تسأل الممرضة عن الكلب العقور فاسرعت اليها باولين تلاطفها وتسكن مخاوفها الى ان عاودتها السكينة والراحة وسارت تجيب اسئلتهم جواب عاقل فاستدلَّ الطبيب من ذلك على ان الجنون فارقها وكان كلامها عذبًا لطيفًا شجيًّا فنبهت باولين الطبيب اليهِ فقال

— ليس في العالم مكان تتجلى فيهِ طبيعة المرء على اتمها كفراش السقام فقد هجمت هذه الفتاة في ساعة جنونها على ابن المقوقس تريد قتلهُ لكنَّ المرض ازاح اللثام عن رقتها ولطفها الاصليين اما رستم فجبار عنيد لكنهُ شهم صافي النية

— وما دليلك على شهامتهِ وصفاء نيتهِ

— لقد دافع عن نفسهِ دفاع الابطال لكنهُ لم يخدشني ولا حاول عضي كما يفعل الجبناء ولو لم تشدي وثاقهُ لتغلب عليَّ

— لا إخال ذلك ممكناً فانت شديد العضل على نحولك

— لا فضل لاحد في قوتهِ البدنية ومن وُلد من ابوين سليمين وكان نقيَّ الدم سليم العظم كامل البنية وروَّض اعضاءهُ كما فعلتُ في شبابي ولم ينفق قواهُ في المعاصي ظلَّ قويًّا حياتهُ بطولها على انَّ صراعنا الآن اضعف يديَّ وارخى مفاصلي وكاس خمر تنعشني وتردّ قوتي اليَّ. فاسرعت باولين الى الغرفة الملاصقة واتت بزجاجة خمرٍ وملأَت كاساً وناولتهُ فشربها دفعةً واحدة ثم سكبت كاساً اخرى وناولتهُ واذا بنفورس داخلة عليهما وذلك انها كانت قائمة على خدمة زوجها فسمعت الجلبة فسأَلت عن الخبر فقيل لها انَّ باولين والطبيب في غرفة الضيوف فاسرعت اليها وسارت توًّا الى المرضة فسأَلتها بالايجاز عمَّا تعرفهُ ثم عطفت الى غرفة الجلوس فرأَت الطبيب والكاس في يدهِ وباولين امامهُ فبدا الغيظ في وجهها وامرت باولين بالانصراف الى غرفتها قائلة يكفيكِ اليوم ما اتيتهِ من الافعال المغايرة للحشمة واللياقة فقد تجاوزنا عنها جميعاً فكان الاجدر بكِ ان تلتمسي العزلة في مخدعكِ وتطلبي الصفح من العزة الالهية عن ذنوبك لا ان تقفي هنا تسقي الخمر لهذا الرجل . فامتقعت باولين وساءها ما اتُّهمت بهِ فاجابت

— لا يخفى عليَّ غرضكِ من طردي فلم يكفكِ ان اوغرتِ صدر زوجكِ عليَّ وهو نسيبي وسندي حتى اتهمتني بافظع التهم الآن فطردي من هذا المكان الخاص بالمرضى بمثابة طردي من بيتكِ الذي اصبح جهنماً لي بفضل دسائسكِ ودسائس ابنك . فصاحت نفورس

— انا وابني افهذا جزاء المحسنين فقد اتخذناها لقيطة وآويناها شريدة وعاملناها كابنةٍ لنا وما ادَّخرنا وسعاً في العناية بها وانفقنا عليها المبالغ الطائلة وهي الآن . . . . . فاجابت باولين

— اما الآن فاني اعلن كفتاة في سن الرشد حرة التصرف انني سابرح هذا البيت غداً ولو أَدى ذلك بي الى التسوُّل ففيهِ لقيت صنوف الاهانة وفيهِ حكم عليَّ وعلى تابعي ظلماً وفيهِ سيقتل بريءٌ . فقالت نفورس

— وفيهِ لقيت خير المعاملة ولم تنالي العقاب الذي تستحقين بعد ان ادخلتِ لصًّا اليهِ وصرحتِ على رؤُوس الاشهاد ان ابن خالكِ ومضيفكِ وحاميكِ قاضٍ ظالم

— نعم ولا ازال اقول ما قلت فقد تجاوز حدَّهُ في الظلم واغرى تلك الفتاة التي دبرتها عروساً لهُ على شهادة الزور وعندي امور كثيرة تدل على جنايتهِ ولكن اعتباري لزوجكِ يمنعني عن انشائها حفظاً لكرامتكم. فقالت نفورس

— هل سمعتم يا قوم فقد اصبح الجاني شاكياً يمنُّ علينا بالرحمة والعفو ولكني سأُرغمك على الافصاح عمَّا تضمرين

— اذا لم تسكني حدة لهجتك فستضطر حفيدتك الى المجاهرة بالحق على الملإ فضحكت تفورس وقالت

— الم يكفك انك اتخذت غرفة المرضى حانة حتى عملت على ايقاع الاذى والعار باهل هذا البيت الصالح فاذهبي الى حيث تشائين فاذا لقيتك بعد ظهر الغد في البيت طردتك منهُ جبرًا فنفسي تعاف رؤيتك وقد اصبحتِ ينبوع مصايب وشقاء لنا فاذهبي لاني اخاف على مابقي لنا من الجواهر . اما انت يا فيلبس فزوجي في حاجة شديدة اليك وانت اعلم الناس بسخائهِ فالاجدر بك ان تتروَّى وتتبصر في ما تفعلهُ . فقاطعها الطبيب وقال بترفع

— اتمد جهلتِ طبعي او تجاهلتهِ فزوجك عندي في المقام الاسمى ومتى دعاني الى خدمتهِ فاني البي الدعوة لكنني لن ادخل غير مدعوٍّ الى بيت يداس فيهِ الحق وتهان الطهارة. تفرسي فيَّ فقد نجَّس ابنك مجلس القضاء ودم حيرام البريء على رأسهِ فاحرصي على زمرَّداتك ماشئت فباولين لن تمسَّها وشهامتها وكرم محتدها يمنعانها عن ان تبوح باسم السارق الذي يجب ان يزج في اعماق السجون فاعلمي الآن ان خطابك هذا قطع جميع ما بيننا من الصداقة وقد صرت منذ الساعة لا اريد ان ارى وجهك الاَّ بجانب سرير زوجك حين يدعوني اليهِ

فنزل كلامهُ عليها كالصاعقة لانها كانت من اشدّ الناس احترامًا لهُ تعلم حسن طويتهِ وسعة معارفهِ فضلاً عن لزومهِ لزوجها وكونهِ انقذ حفيدتها من الموت فشقَّ عليها ان تخسر صداقتهُ لها وخدمتهُ الجزيلة الفائدة لأهل بيتها واحسَّت بما كان يمازج كلامهُ من الاحتقار لها والانتصار لباولين فتنازعها الغيظ والقهر وجرت الدموع من عينيها ثم قالت

— أفأنت ايضًا يا فيلبس تولي وجهك عني بعد الذي شهدتهُ من اخلاصي لاهل بيتي وعنايتي بهم زوجة صادقة امينة مقيمة على ولاء زوجها في السرَّاء والضراء واماًّ حنونًا لا تشغلها الملاهي والملذات عن واجباتها وسيدة تعتني بعبيدها واتباعها فهل تبدلتُ اليوم الى هذا الحدّ حتى تقول فيَّ ما قلتَ وتضنَّ عليَّ بصداقتك لاجل هذه الفتاة فاجاب الطبيب

— ان فيكِ داءً عياءً وهو هذه البغضاء التي دخلت قلبكِ كلصٍّ وجرت في عروقكِ فافسدت دمكِ ودفعتكِ الى اساءة هذه المسكينة المثقلة بالاحزان فكنتِ في عملك هذا كمن يلقي العثرات في سبيل اعمى ليوقعهُ فاذا كان لكلامي شيءٌ من التأثير فيكِ فاسألها الصفح عما اصابت منك من الاضطهاد

وكانت باولين ترقب الطبيب اثناء كلامهِ فلما فرغ وقفت لتدنو من زوجة خالها اماَّ هذه فقد كان في صدرها شبه عاصف فشعرت انها اساءت الى باولين مدة اقامتها في بيتهم وخامرها

لريب في سارق الزمردة وادركت انها تسرّ زوجها سرورًا عظيمًا اذا استطاعت اقناعها بالبقاء عندهم لكنها ذكرت ما نالها وابنها من كبرياء باولين ورأت من الذلّ ان تنزل نفسها منزلة المخطيء امام فتاة وبينما هي كذلك سمعت رنَّة الطاس الفضي اشارة الى ان زوجها يدعوها اليهِ فتقدمت الى باولين وقالت بصوت خافت

— هذه يدي وقد كان من الواجب عليَّ ان احسن اليكِ لكنكِ رفضتِ حبي ويشهد الله انني كنت قد اعتمدت على اتخاذكِ ابنة لي ولكن ما فات فقد فات. فقبضت باولين على يدها قبضة كاره ثم قالت

— سنفترق اذًا على صفاء فائذني لي غدًا ان اودع خالي وماري

— علامَ تبغين الذهاب فبقاؤكِ معنا احبّ الامور لديَّ الآن ولا اظن خالك يسمح بذهابكِ لما تعلمينهُ من حبهِ لكِ

— لقد كان لي بمثابة اب وبودّي لو استطعتُ ملازمتهُ الى النهاية ولكني قد عزمت على الذهاب

— ولو توسَّل خالك اليكِ كما اتوسل

— لن يغيّر ذلك شيئًا من عزمي

— ولكن اين تجدين منزلاً لائقًا بكِ تنزلينهُ . فاجاب الطبيب

— سأنظر في ذلك وارى ايتها السيدة ان انفصالها عنكم خيرٌ لكم جميعًا لكني لا ازال آمل انها تبقى في منف ولا تصرُّ على مغادرتها

ولمَ لا تبقى في بيتنا فتفتح سفرًا جديدًا من الحياة. فهزّت باولين رأسها ثم سمعوا رنة الطاس الفضي يقرع ثالثةً فاسرعت نفورس الى زوجها ولما غابت تنفست باولين طويلاً وقالت

— حمدًا لله الذي ختم على شفتيَّ فلم ابح بنغلة ابنها وارى فيَّ الآن نشاطًا جديدًا بعد ان عزمت على مفارقتها وترك منف . فقال الطبيب

— اتتركين منف ايضًا

— نعم واذهب الى سورية او بلاد اليونان فابتعد عن هذه المرأة وابنها

— وماذا يحلُّ بصديقكِ هذا

— ساذكر فضلك مدى العمر ولا انساهُ . فضحك وقال

— وهب النبطي عثر على ابيكِ فاين يلقاكِ

فبهتت ولم تحر جوابًا فاغتنم فيلبس فرصة ذهولها واخذ يسرد لها الادلة على وجوب بقائها في

ذف الى ان قال واول واجب عليكِ السعي في اطلاق سراح مرضعكِ ثم رسم لها خطة تجري
عليها دلّت على حكمتهِ ودرايتهِ وبعد حديث طويل سلّمت بالبقاء الموقت حتى تنجو المرضع ويعود
النبطي . فاخبرها انهُ دبّر لها مسكناً لائقاً في بيت يوناني صديق لهُ وهو رجل كريم الاصل
حسن السمعة ثم ودعها يريد الانصراف فقالت

— غداً تبتدئ حياتي الجديدة وستكون بفضلك خيراً من القديمة ان شاء الله

الفصل الرابع عشر

وفي صباح الغد جلست ماري حفيدة المقوقس ومهذبتها تحت جميزة في البستان التماساً للبرودة وشرعت تكتب على لوحها الوصايا العشر نقلاً عن كتاب يوناني ولم يطل بهما المقام حتى تغلّب الحرّ واريج الازهار على المهذبة فنعست ونامت وانقطعت ماري عن الكتابة وجرت الدموع من عينيها كالمطر فصارت تارة تحدق في الفضاء وتارة تعمد الى لوحها فتكتب عليهِ اسم باولين وتتبعهُ باحبّ النعوت اليها وبينما هي كذلك طلعت عليها كاترينا وعلى وجهها امارات الغم وهي تسحب رجليها سحباً فلما دنت من ماري حيّتها فلم ترد التحية بل احنت رأسها فقالت كاترينا

— سمعتُ ان جدَّك في حالة الخطر

— أصحيح ما تقولين . قالت هذا وعاودت الكتابة

— نعم واوريون لا يفارقهُ وقد بلغني ان باولين ستترك بيتكم ايضاً

فأومأت ماري بالايجاب وعاودت البكاء

— اراكِ تصدين عني كأني ارتكبت وزراً فافعلي ما تشائين ولكني لا اصبر على هذه الفظاظة . وحينئذٍ افاقت المهذبة فسمعت قولها فعنفت ماري ووبختها قائلة

— اكذا تعاملين السيدات اللواتي اكرمنكِ

— واين السيدات

— الا تبصرين فما هذه الغلظة واين الآداب اليونانية التي تلقيتها فكاترينا سيدة لا طفلة مثلك فاطلبي الصفح منها

— أنا . ثم نهضت من مكانها وقالت لسنا من اليونان فاعلمي انني لا اطيقها ولا ارغب في مكالمتها . فصرخت المهذبة

— المجنونة انتِ ثم ارادت القبض عليها فجرت ماري امامها وجرت كاترينا وراءها حتى ادركتها فامسكت يديها وقالت

— لولا انك ابنة صغيرة لضربتكِ فقالت ماري الاولى بكِ ان تدفني نفسك في التراب نعم ان عمري عشر سنوات لكنني افضل السجن مع حيرام على فعلَ ما فعلتِ امس . فاصفرَّت كاترينا وقالت

— او تستطيع طفلة مثلك ان تدرك هذه الامور

— تعيرينني بالصغر كأَنك نخلة باسقة فبعد سنتين اصير اطول منك

فاستشاطت كاترينا غيظاً ورفعت يدها فلطمتها لطمة عنيفة . اما ماري فوقفت جامدة كالصنم ثم دارت ومشت على مهل نحو الجميزة وكاترينا ترقبها وقد اغرورقت عيناها بالدموع وعلمت ان ماري مصيبة في ما قالتهُ وادركت انها اعتدت عليها فتبعتها من بعيد كما تتبع الجارية سيدتها حتى بلغتا الجميزة فدعتها باسمها فلم تجب فدنت منها ولمست كتفها وقالت بلطف سامحيني فقد اضعتُ رشدي وانتِ تعلمين ان قصري من الله فاجابت ماري

— لقد غضبت فلطمتني ولو فعلتِ ذلك امس مثلاً لضحكت او لضربتكِ كما ضربتني اما اليوم فقد شعرتُ كأَن عبداً اسود وضع يدهُ على وجهي فلستِ اليوم ما كنتِ قبلاً فقد تغيَّرت مشيتكِ وتبدَّلت هيئة وجهكِ ولم يعد كلامكِ عذباً وفارقكِ الظرف واللطف والسبب انكِ اخطأْت امس خطية كبيرة

— فقالت كاترينا لا تجوري في حكمكِ عليَّ يا حبيبتي فقد يحدث انني لم اصرّح امام القضاة بجميع ما اعرفهُ ولكن اوريون خطيبي هو الذي . . . . .

— اقتادكِ الى الكذب فانظري اليهِ اليوم فقد كان طول عمرهِ فرحاً مسروراً وهو الآن مثلكِ غمّاً وكآبةً . وحينئذٍ قاطعتها مهذبتها وامرتها ان تعود الى دروسها فامتثلت وبينما هي كذلك دنت منها كاترينا وهمست في اذنها قائلة ان اوريون لا يكذب ولست اتذكر تماماً ما اذا كان العقد خلواً من الحجر الكريم او لا . فالتفتت اليها ماري وقالت بالقبطية

— الا تتذكرين الم تري العقد كما رأَيتهُ او لم يعلق مكان الزمردة منهُ في ثوبكِ فقد كذبتِ حين أَدَّيتِ شهادتك في المجلس تعالي واقرأي الوصايا العشر التي انزلها الله على موسى اقرأي لا تشهد على قريبك شهادة زور وقد قال لي القسّ ان شهادة الزور خطية مميتة لا تغفر الاَّ بالتوبة ومع انكِ تعلمين ذلك كلهُ فقد تجرأْتِ على شهادة الزور فجررت الويل والنقمة على الابرياء . فصبغ الحياء وجه كاترينا وقالت

— اللوم كل اللوم على اوريون فهو الذي بدَّل اقتناعي ولما رأَيت باولين اعتراني غيظ شديد حتى اوشكت ان اقتلها

— أتقتلين باولين بعد ان كنتِ تدَّعين حبها

— نعم فقد كنت احبها ولكني رأيتها في المجلس مثال الكبرياء والعظمة على انك لا تفهمين هذه الامور

— وعلامَ تتهمينني بالبلادة الى هذا الحدّ فانتِ تحبين اوريون ولما خشيت ان تغلبك باولين بجمالها اخذتك الغيرة ولا يخفى عليكِ انني واقفة على اخبار اوريون واعلم ان جميع النساء مفتونات بهِ ولهذا قطعوا اذني ماندانى وقد حدثتني الجواري بحديثهِ في القسطنطينية وبشاءت باولين ان تستميلهُ اليها لكفّ عن النظر اليك فشهادتك الزور ستؤول الى قتل حيرام والى انفصال باولين عنّا فلا اعود اراها ابدًا ابدًا ابدًا ابدًا وهذا ما يكاد يسحق قلبي. قالت ذلك واجهشت بالبكاء والعويل فانحنت كاترينا وطوقتها بذراعيها وقالت وهي تبكي

— سامحيني يا حبيبتي ماري فقد قاسيت عذابًا اليمًا من جرَّاء عملي على ان شيئًا غريبًا غشي بصري امس فاقتادني اوريون الى الاثم وانا اجهل غرضهُ لكني احبهُ وانا خطيبتهُ اما الآن فساحاول ان اسلوهُ واترهب في احد الاديرة او اطرح نفسي في النيل لكني لن اتزوجهُ بعد الذي جرى ويشهد الله انني مع ذلك احبهُ حبًّا شديدًا

وبينما هما كذلك جاءت باولين ووراءها نفر من الاتباع يحملون امتعتها فرأت ذلك المنظر المؤثر وسمعت كلام كاترينا فادركت ما جرى بينهما ولمَّا لم تشأ ان تسترق السمع نادت ماري باسمها فاسرعت هذه اليها وارتمت عليها وهي تبكي فقبَّلت باولين وجهها وشعرها ثم بكت وقالت الوداع يا حبيبتي فقد قضي عليّ ان اغادر هذا البيت فلا يبرح اسمي وحبي من بالك واعلمي انني اشد الناس صداقة لك . فتوسلت ماري اليها ان لا تفارقها وان لا تتخلَّى عنها وبكت بكاءً مرًّا. فعجبت باولين لاخلاصها وشدة حبها ثم حيَّت المهذبة ولمَّا ارادت ان تودع كاترينا انطرحت هذه عند قدميها واخذت تبكي وتقبل يديها وتطلب اليها ان تتجاوز عن اساءتها ثم اعترفت بذنبها فانهضتها باولين وقبلتها قائلة ليس الذنب ذنبكِ وقد غفرت لكِ . ولما بلغت السفينة اذا باوريون وفي يدهِ باقة من الازهار وكان قد حاول لقاءها مرتين ذلك النهار فلم يفلح فتقدم اليها وقال لا خوف على حيرام فلن يمسَّ بسوءٍ ثم طلب اليها ان تأذن لهُ بكلمتين فابت ان تجيبهُ وسارت تريد السفينة فمدَّ ذراعهُ ليسندها فتناولت يد الطبيب ونزلت فتبعها الى السفينة وقال لها

— ان تعيسًا يطلب منكِ الرحمة فقد اعتراني الجنون امس وانا احبُّكِ

— لا تزد عليّ فكلامك يسوءُني

— ولكنّ ذهابك يحزن ابي وهو كما تعلمين مريض مثقل اليس لكِ كلام انقلهُ اليهِ

— ساجد رسولاً غيرك

— وهب انهُ سألنا عن سبب انفصالكِ عنّا

— امك وفيلبس يخبرانهِ

— ولكنهُ وصيُّكِ واموالك في يديهِ

— لا خوف عليها من الضياع

— ولكن قد يحلُّ بهِ المكروه لا سمح الله

— حينئذٍ اطلب اعادة اموالي على يد وصيّ آخر

فاشتد باوريون الحنق ورمى بالازهار الى النهر ثم وثب الى الشاطىءِ فدنت منهُ ماري وقالت لا تحزن يا عمّاه فانا اعلم ما بك

— وما ذاك

— اخطأتَ انت وكاترينا خطأً كبيرًا بشهادتكما امس

— واين كاترينا الآن

— سمعتها تقول انها تحبك كثيرًا ولكنها لا تستطيع مقابلتك اليوم فقد اخذ الحزن منها كل ماخذ

— لكنها في غنى عن تكليف نفسها هذه المشقة وذلك الحزن فالذنب ذنبي وعاقبتهُ عليَّ فعودي يا حبيبتي الى دروسك ثم قبَّلها ومشى في البستان حتى بلغ شجرة كبيرة فاسند ظهرهُ اليها واخذ يعيد في مخيلتهِ حوادث ذينك اليومين فتنازعتهُ الافكار والاحزان واشتدَّ بهِ القلق فاسف على خسارة الفتاة التي احبها وندم على ما فرط منهُ ممَّا ادَّى الى انفصالها عنهم الى ان قال في نفسهِ لقد اخطأتُ في تسليمي قيادي لامي وعقد خطبتي على كاترينا وقد عزمت الآن على وضع حدٍّ لهذا الاثم وسانطرح على قدمي باولين واقصُّ عليها قصتي فاعترف بذنبي ومتى اتضح لها صدق طويتي واخلاصي وعلمت بانني فعلتُ ما فعلتُ غير متعمد واني اتهمتها بمشاركة السارق في ساعة ضياع رشدي رضيت عني وعاودها حبي وحينئذٍ تعود اليَّ تلك الصفات التي ورثتها عن اسلافي على اتمها وتصبح حياتي ذات قيمة في عينيَّ ولا تعود حلمًا وان مجرَّد تفكري بها يسمو بآمالي ومطالبي فماذا يكون شاني اذا احبتني وقبلتني زوجًا لها

وبعد ان قضى ساعة كذلك سار الى البيت فلقي القهرمان وعلم منهُ بانَّ اباهُ نائم وانَّ علامات الانحلال بادية في وجههِ كما سبق الطبيب فانبأَهم فامرهُ بارسال مركبتهِ واسرع جيادهِ لتاتي بفيلبس

الفصل الخامس عشر

ولمَّا وصلت باولين والطبيب الى مسكنها الجديد واستقرَّ بهما المقام عرَّفها باهل البيت ثم سار بها الى الغرف الخاصة بها لتراها فاعجبتها نظافة المكان وحسن ترتيبهِ ولم يكن الاَّ كلمح البصر حتى جاءَ رسولان يطلبانهِ وكان احدهما فتى عربيًّا من الفسطاط اتاهُ بكتاب من هاشم ينبئهُ فيهِ بانهُ مسافر الى جدَّة للاعتناء بابنٍ مريض ويوصيهِ خيرًا بشيخ قافلتهِ ومع الكتاب صرَّة مملوءَة دنانير اما الرسول الآخر فكان من بيت الوالي يدعوهُ الى الاسراع الى المقوقس فلبى الدعوة وركب المركبة فسارت بهِ الخيل تنهب الارض حتى اذا دخل على العليل ورأى وجههُ علم أنَّ اجلهُ قد دنا وكانت السكتة قد عقدت لسانهُ فانهضهُ وامر الممرّضة بان تضع خرقًا مبلولة بالماء على رأْسهِ وعنقهِ ثم فصدهُ وبعد هنيهة افاق وفتح عينيهِ وقال بصوت خافت ناولني حبتين يا فيلبس ففعل وبعد ان بلعهما اغمض عينيهِ ثم عاد ففتحهما وقال يا اوريون لقد جاءَت الساعة فادعُ المطران ليزِّودني بالاسرار المقدسة فخرج اوريون الى القاعة وكان المطران ورجال الكهنوت بالانتظار فيها فدخلوا وصلُّوا عليهِ ثم ناولوهُ الخبز فلم يستطع بلعهُ فتناولهُ اوريون بدلاً منهُ فقال المقوقس

— ليكن الله معك يا ابني ثم طلب الاسرار ثانية فناولوهُ ايَّاها فجرع الخمر وابتلع شيئًا من الخبز فاخذ المطران يخاطبهُ بكلام التعزية ويستتيبهُ ويسأَلهُ المغفرة لاعدائهِ فاجاب غفرت لهم جميعًا حتى الملكيين قاتلي ابنيَّ وبطريرك كنيستي

وعاد فيلبس الى عنايتهِ بهِ وبعد ساعةٍ رفع رأْسهُ وقال

— انزع خاتمي يا اوريون والبسهُ وادعُ ماري وباولين فاودعهما فاجابت زوجتهُ

—لقد ارسلنا من ياتي بماري اما باولين فقد تركت البيت بعد ما جرى امس وقد كلفتني ان ابلغك سلامها وشكرها لك . فسكت ثم قال كيف اذنتم لها في الانصراف فهي اشرف النساء واجملهنَّ لقد اخطأْتم في ما فعلتم . فطلب اوريون الى الطبيب والممرضة ان يتنحيا عنهم فلما خرجا قال

— صدقت يا ابي فباولين اجمل النساء واشرفهنَّ فهل توافق على زواجي بها

— نعم يا ابني فبركتي عليكما ولو سلَّمتْ قيادها الى خالها لانقضى الامر على ماشاءَ . . . . انها دافعت عن تابعها دفاع الابطال . . . لمَ لم تأْتوا بها

— ارادت ان تودعك فالفيناك نائمًا ولم نشأْ ان نزعجك

ان قضية الزمردة عجلت في ذهابها ولكنها غير ملومة فحيرام فعل ما فعل بدون علمها على أن طيب عنصرها ... وتعلقها بوالدها .... وانتِ يا نفورس يا رفيقة العمر .... شكرًا لكِ على عنايتك بي وحبك لي .... لا تغيظي باولين بعد .... باركي اقترانهما . فبكت زوجتهُ وقالت

— سافعل ما تريد ولكن ما نفعل بمعتقدنا وايماننا وكاترينا المسكينة

— كاترينا ... ابني يتزوج حما ... حما ... الماء . ثم جمع قواه وقال بصوت ضعيف انا جريج بن المقوقس العظيم واسلافي واولادي كاشجار النخل والجميز فهل نطعِم هذه الاشجار بورق الحنطة اذًا اي انحطاط يحلّ بنسلنا لكن باولين ارزة لبنان ....

— ولكن ما العمل وهي ملكيَّة

— نعم نعم حافظوا على معتقدنا ولكن باولين ارزة لبنان . . . . ثم اعياهُ النطق فالقى رأسهُ على الوسادة ودعوا الطبيب اليهِ فاسرع وسقاهُ شرابًا منعشًا فافاق وقال

— لقد عبقت رائحة المسك في البيت رائحة ملاك الموت . وبعد هنيهة قال كمن يخاطب نفسهُ نعم ان الروم ظلموا شعبي فاضطهدوهم وداسوهم اما العرب فاهل عدل واحسان وفضلاً عن ذلك فلم يكن ردهم عن البلاد في طاقتي آه لقد بردت رجلاي وانا احبُّ البرد وانت يا اوريون فحافظ على مذهبك ودينك ولا يغرنَّك حب العظمة والمجد على اطراحهِ واعتناق غيرهِ اما باولين . . . . سرْ في الطريق الذي تختارهُ لنفسك وقد تركتُ لك ثروة طائلة وكنت لك ابًا حنونًا ولأُمك زوجًا امينًا وفوق ذلك كلهِ فقد كنتُ قاضيًا عادلاً ويشهد الله عليَّ انني لم احد عن الحق بحسب ما بلغتهُ مداركي القاصرة فكان الغني والفقير في عينيَّ سواء . ثم انقطع عن الكلام واستلقى على فراشهِ وحينئذٍ ادخلوا ماري حفيدتهُ فركعت امامهُ وقبلت يديهِ وهي تبكي ثم صاحت

— لا تفارقنا يا جدَّاهُ وابقَ معنا

— اوَّاهُ يا حبيبتي لقد كنت اودّ ذلك من صميم قلبي لاقوم على العناية بكِ ولكن نفذ المقدور وانا الآن على عتبة القبر

— لا لا فانا اصلّي ويستجيب الله صلاتي فيشفيك

— هذا امر الله فهل جئتِ بباولين فقلبي يحدثني انها انفصلت عن بيتنا مغتاظة. فقالت

— انَّ هنالك امرًا يجب ان تطَّلع عليهِ يا جدَّاهُ فباولين لم تكذب لكنها اعترفت بالحق وليس حيرام السارق فان العقد الذي رأيتهُ ورأتهُ كاترينا كان خاويًا من ذلك الحجر الكريم

ولكن كاترينا شهدت شهادة زور وحكم القضاة على حيرام اعتماداً على شهادتها ولا ادري ما الذي فعلهُ هذا المسكين حتى اغضب اوريون فاصرَّ على معاقبتهِ والذي اعلمهُ ان باولين وحيرام بريئان مما اتهما بهِ

وكان اوريون اثناء كلامها راكعاً بجانب السرير وعباراتها تقع في نفسهِ كطعنات الخناجر فحدثتهُ نفسهُ غير مرَّة ان يدفعها من مكانها ويسدَّ فاها لكن الدهشة والغيظ قيَّدا يديهِ فلما فرغت التفت اليهِ ابوهُ وقال

— فقد حكمت محكمتنا حكماً جائراً اذاً فمن سرق الزمردة العلَّك . . . . القطيف . . . . الزمرّدة . وكانَّ صاعقة انقضَّت على اوريون في تلك الساعة فوقف وقال

— نعم يا ابتاهُ انا فعلتُ وقد جرَّ عليَّ عملي هذا سلسلة من المصايب والاحزان لا اعلم اين تنتهي حلقاتها على انهُ سيكون آخر ذنوبي. وكان يتكلم والبكاء يقطع الفاظهُ فجلس المقوقس وقد عاد اليهِ بعض قوتهِ وصاح

— انت السارق لقد نجست محكمتنا وجلبت العار على سلالتنا فاغرب عني فانت لص وقاضٍ ظالم وشاهد زور . أنسل مينا يرتكب وزْراً كهذا . فلوكانت يداي شديدتين اَ . . . ثمَّ اشتدَّ بهِ النزع فانطرح على السرير وهو يردّد كلمة " لئيم " وسمعت حشرجة في صدرهِ ثم فاضت روحهُ . فارتعد اوريون من هول ما جرى وحاول ان يوقظهُ ليعترف لهُ بتوبتهِ وينال غفرانهُ ثمَّ دخل الطبيب فوضع يدهُ على قلب المقوقس والتفت الى من حولهُ وقال هوذا رجل بارّ قد فارق ارض الاحياء

فشهق اوريون وانطرح على الارض وجثت امهُ بجانبهِ لتعزيهُ وتنوح معهُ امَّا هو فلم يكن ليتعزَّى

الفصل السادس عشر

كان الطبيب قد سبق فانذر باولين بدنوّ اجل المقوقس فلما جاء الرسول يدعوهُ الى القصر قلقت وخشيت ان تتمّ نبوتهُ لانها كانت تحبُّ خالها حبًّا شديداً وترجو لهُ طول العمر والسعادة. ورحَّب بها اهل المنزل وقابلوها بالرعاية والاكرام وكانت هيئة البيت تدلُّ على يسار صاحبهِ والبستان على شدة عنايتهِ بالازهار والاشجار وبينما هي تمشي فيهِ وقعت عينها على البستاني فاذا هو احدب ومعهُ نفر من الاولاد يساعدونهُ وكلهم مشوّه الخلقة ما بين احدب واعرج وكسيح

وكان البيت على مقربة من دير القديسة سيسيليا وهو الدير الوحيد لراهبات الروم الملكيين الذي ابقى عليهِ المصريون بعد غزوة العرب وذلك لان راهباتهِ اشتهرن بحسن عنايتهنَّ بذوي

الاسقام ومهارتهنَّ في التمريض هذا فضلاً عن الضريبة العظيمة التي كان الدير يؤديها الى مجلس منف ومع شدة كره المقوقس للملكيين لم يرَ بدًّا من الاحتفاظ بهِ للاسباب التي اشرنا اليها ولئلاَّ تنتقل املاكهُ وامواله الى العرب اذا أُقفل. وظلَّت الحال على هذا المنوال الى ان تربَّع بنيامين في دست البطريركية الاسكندرية فاراد الايقاع بالراهبات والاستيلاء على الدير وامواله فعارضهُ المقوقس فكان ذلك من اسباب النفور الذي تعاظم بينهما

في ذلك المساء سمعت باولين الراهبات ينشدن ترانيم الجنازة الشجية فظنت ان احداهنَّ انتقلت من دار الفناء الى دار البقاء لكنها ما عتمت ان سمعت النوح على الطريق والجسر (الكبري) ورأَت النساء يسرنَ زرافات نائحات معولات فخطر لها اذ ذاك ان مثل هذه المناحة العامَّة لا تكون الاَّ للمقوقس فارتعدت لهذا الخاطر واغرورقت عيناها بالدموع حزناً على خالها وادركت ما كان لهُ من المنزلة الرفيعة في قلوب قومهِ حين ابصرت النساء يثرن التراب على وجوههنَّ ورؤُوسهنَّ والرجال يقرعون صدورهم وكأَن الدهشة عرت المدينة فلا ترى سوى وجوه كاسفة وعيون دامعة ولا تسمع سوى عبارات الاسف والرثاء وبعد ساعةٍ عاد الطبيب فاطلعها على الخبر اليقين الى ان قال وقد حدث حادث تبينتُ منهُ ان اوريون هذا ليس كما نظنهُ ففيهِ صفات طيبة

— اذاً لقد خدعك ايضاً

— ذلك يصعب عليهِ ولكن لا يخفى عليكِ ان غرفة الموت من اقدس الاماكن ففيها تحلُّ الرهبة وتسود الخشية ومن يرَ ملاك الموت ماثلاً امامهُ يخلع عن وجههِ النقاب الذي يحجبهُ عادة فيبدو تحتهُ ما انطوى عليهِ من طيّب الاخلاق وخبيثها

— وهذا ما بدَّل رأْيك في اوريون فقد رأَيت فيهِ تلك الساعة ما غيَّر ظنك في اللص وشاهد الزور والقاضي الجائر

— لا تركبي مطية المبالغة كما تفعل النساء فلم اقل ان ابن المقوقس ملاك لكنهُ اعرب اليوم عن قلب طيب وشعائر رقيقة وانا اعتبر هذين ولا ريب عندي في انهُ كان محبًّا لابيهِ هذا مع اعترافي بانهُ قد ياتي اكبر المنكرات نقد الفيتهُ بعد موت ابيهِ في اضطراب وجزع لا يحدثان في المرءِ ولا يبدوان فيهِ الاَّ اذا فقد احبَّ الناس اليهِ. فقالت باولين

— هذا كلهُ تصنُّع. فقال

— وما غرضهُ من التصنع حيث لا يشاهدهُ احدٌ كلاَّ بل هو على كثرة ذنوبهِ مملوءٌ بالحب لابويهِ وهو ما يدفعني الى التصديق بانهُ لا يخلو من الشهامة وطيب الاخلاق. وبينما هما يتحدثان

دخل عليهما احد خدم البيت فاخبر باولين ان بالباب امرأة تطلب مقابلتها واذا بالمرضع داخلة فاسرعت الى باولين وضمتها الى صدرها وقبلتها وهي تبكي من الفرح ثم حدثتها بحديثها فقالت انهم احسنوا معاملتها في سجنها وان اوريون اخرجها منهُ اليوم معززة مكرمة فرأَت في وجهِ سيماء الحزن وآثار البكاء والكآبة واستتلت الكلام الى حيرام فقالت ان اوريون اطلقهُ ايضاً من سجنهِ واجزل لهُ العطية واعادهُ وابنهُ الى دمشق بعد ان اركبهما جوادين كريمين ثم اخبرت سيدتها ان نيلس الخازن اتى معها وانهُ يريد محادثتها فامرتها باولين بدعوتهِ ولمَّا خلا المكان قال فيلبس

— لي كلمة اقولها لكِ فهل تسمعينها

— هات

— ان الحياة ليست مادبة ادبها القدر لنا لنتلذذ بها لكنها واجب ينبغي ان نقوم بهِ بكل جهدنا وعلى كل واحد ان يمتحن قواهُ ومواهبهُ ويستعملها لنفع الناس فاذا فعل احسَّ بفرح ونشاط بكبيائهِ راحة الضمير فلا يعود يبالي بالموت فاذا ادرك اوريون ذلك ونشط الى القيام بالواجبات التي أُلقيت اليوم على عاتقهِ حق لهُ علينا التوقير والاكرام فقد انكسرت سفينتهُ اليوم كما قال التاجر العربي فلنرَ ما يكون من امرهِ . فقالت باولين

— ليت لهُ مرشدًا مثلك يعينهُ امَّا انا فقد فصلتْهُ اعمالهُ السيئة عني فلا سبيل الى مصالحتنا ولا اراني ارثي لهُ بعد الذي رأيتهُ منهُ فشكرًا لك على ما بذلتهُ من المساعي في تدبير هذا المنزل حيث القى الراحة والسكينة

وعند ما قالت ذلك تنفَّس الصعداء وحاول ان يبوح لها بحبهِ فصرفتهُ عن هذا الموضوع قائلة اني اتخذتك صديقاً كريماً والصداقة اثمن من كل شيء واسابقى على صداقتك ما بقيت في الحياة

وعند ذلك عادت المرضع ومعها نيلس الخازن فوضع بين يديها مبلغاً كبيرًا من المال وقال امرني سيدي اوريون ان آتيك بهذا المال عملاً بوصية ابيهِ فتقضي بهِ حاجاتكِ الآن امَّا ما بقي من ثروتكِ وهو الجزء الاوفر فسيعاد اليكِ بالحساب المدقَّق بعد دفن المقوقس. فذهلت باولين لما سمعت ذلك واستاء الطبيب فقد كان يخالها فقيرة معدمة فسرهُ ان يقوم على العناية بها والاهتمام بامرها فتبين لهُ انها تفوقهُ ثروة وغنًى كما تفضلهُ حسباً ونسباً. ولما فرغ نيلس من مهمتهِ حيَّاها وانصرف وتبعهُ فيلبس وبقيت باولين في البيت ومعها مرضعها وقد كادت تطير فرحاً لعودتها الى خدمة سيدتها

ستأتي البقية

الصحيح من الفراسة

امارات الحب

كما ان اللذة والالم القطبان اللذان يدور عليهما شعور الانسان كذلك الحب والبغض هما القطبان اللذان تدور عليهما اهواؤُهُ . وحالما تثور في النفس عاطفة الحب ترى المرء قدمال الى المحبوب ويبتدئ ظهور هذا الميل فيهِ بالالتفات وينتهي بالاقتراب والاتصال واظهار البهجة والسرور . وقد لا ينطق بكلمة ولا يبدي الاَّ اشارات طفيفة لكنها تكون ابلغ من كل كلام كما قيل

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا فنحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

والحب قوَّة في النفس تدفعها الى الخارج وتحملها على الامتزاج بنفس من تحبُّهُ والتمثل بهِ حتى لقد قال كثيرون انهُ اذا طالت الالفة بين الزوج والزوجة تشابها في شكليهما واخلاقهما . وقيل انهُ كان من عادة فردرك الكبير ملك بروسيا ان يضع امامهُ تمثال يوليوس قيصر وهو يقول ان مجرَّد النظر اليهِ يحرّك فيَّ الميل للتمثُّل بهِ . وهذا التمثُّل فطريٌّ في النفس يظهر فيها من غير تصنُّع ألاَ ترى ان الام تتظاهر بالبكاء امام ولدها فلا يسعهُ الاَّ ان يبكي تمثُّلاً بها من غير ان يرى للبكاء سبباً آخر

وتظهر امارات المحبة في حركات العينين والشفتين واليدين والراس والجسم كلهِ . ومن علاماتها المصافحة والمعانقة والتقبيل والتبسُّم والضحك والبكاء والتمايل والركوع والغناء والترنم وما اشبه

وبعض هذه الامارات غير خاص بالانسان بل يبدو على الحيوان لاظهار محبتهِ فانهُ يدنو من محبوبهِ ويتحسَّسهُ ويشمهُ ويعانقهُ ويلتصق بهِ ويظهر البهجة والمسرَّة

قلنا ان اول امارات المحبة الميل الى المحبوب ثم لمسهُ باليد او بالفم . اما اللمس باليد في المصافحة على انواعها فيكاد يكون شائعاً في كل المسكونة حتى انَّ الذين لا يتصافحون يفهمون معنى المصافحة . واما اللمس بالفم اي التقبيل فغير شائع شيوعاً تامًّا خلافاً لما يظنُّ لاوَّل وهلة بل يقال انهُ لم يكن معروفاً عند الفوجيين سكان الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية والموريس سكان زيلندا الجديدة واهالي تهيتي والبابوان والاستراليين والصومال والاسكيمو واليابانيين القدماء . والامم التي تستعملهُ لا تجري فيهِ على وتيرة واحدة فترى الرجال عندنا يحيون بعضهم بعضاً بالمصافحة والمعانقة وبالتقبيل احياناً والنساء يحيي بعضهنَّ بعضاً بالتقبيل دائماً ولكن الرجال

والنساء يتطارحون التحية عن بعد او يتصافحون مصافحة. وكانت العادة في اوربا ان يقبّل الرجال ايدي النساء وفي بلاد الشام ان يقبلوا رؤُوسهنَّ وهنَّ يقبلنَ ايدي الرجال. وقد رأينا لثم الفم شائعاً عند الفرنسو بين بين الرجال والنساء ولو لم يكونوا اقارب

ومن الغريب ان التحية تكون بالشم عند بعض الناس او بملامسة الانوف قال الاستاذ مونتغزا ان رجلاً من اهالي جاوى جادلهُ في امر التقبيل حاسباً ان مس الانف بالانف ادعى الى اظهار المحبة من مس الشفتين بالشفتين لان الانف يشم نفَس المحبوب فتمتزج النفْسان معاً. ومن المعروف عندنا ان الامهات لا يكتفين بتقبيل اولادهنَّ بل يشممنهم ويستنشقنَ رائحتهم عن بعد ويبدين من السرور على اثر ذلك ما يبديهِ محب الخمرة من شمهِ رائحتها

والمصافحة من ابسط امارات المحبة او الصداقة وهي شائعة في كل البلدان والذين لا يستعملونها يفهمون معناها كالذين يستعملونها. وتتلوها المعانقة وفيها من التودُّد اكثر مما في المصافحة لاتصال المتعانقين معًا في جانب كبير من جسميهما وقد يتوالى العناق على الجانبين فيضع الواحد رأسهُ على الجانب الايمن من عنق صاحبهِ ثم على الجانب الايسر فيصير الاتصال بينهما على اتمهِ. ويتلو المعانقة التقبيل وكأَنهُ اشدُّ منها دلالة على المحبة لان الشفتين جامعتان بين جلد ظاهر الجسم وجلد باطنهِ فضلاً عمَّا فيهما من شدَّة الشعور كانَّ الشعور بهما شامل الشعور الداخلي والخارجي معاً. واللثم اي تقبيل الفم للفم اكثر شيوعاً عند الاوربيين ومن جرى مجراهم من تقبيل الفم لليدين او للوجنتين. والفرق كبير بين اللاثم والملثوم في اظهار المحبة فالاول هو المظهر لها المعرب عنها واما الثاني فقد يشاركهُ في حبهِ وقد لا يشاركهُ بل يكون كالصنم الجميل الذي تلثمهُ وهو لا يشعر بشيءٍ

وقد يكون التقبيل علامة الاحترام والاكرام لا غير كما في تقبيل ايادي الشيوخ واهداب العظماء واستلام الآثار الدينية اي تقبيلها

واذا كان الانسان محبًّا فلا بدَّ من ان يظهر ذلك في وجههِ فتبدو عليهِ امارات السرور والرضى وهذا كل ما يستدلُّ بهِ من ملامح الوجه على خُلق المحبة مع ما ذكر من الاشارات البادية. والناس سواءٌ في ذلك كبار الفم وصغارهُ طوال الانف وقصارهُ واسعو الجبين وضيقوهُ دقاق الحواجب وعراضها وما القول بان فلانة تحبُّ زوجها لانها واسعة الفم او دقيقة الحاجبين وفلانة لا تحبهُ لانها صغيرة الفم او عريضة الحاجبين الاَّ من قبيل الخرافات القديمة المبنية على الحدس والتخمين او على الاستقراء الناقص. وان كان في ذلك شيءٌ صحيح فهو قليل جدًّا ولا تزال اسبابهُ غامضة والاستدلال بهِ والقياس عليهِ لا يخلوان من الخطإِ ولا يحسن اغراء

الناس باتخاذهِ دليلاً في معاملاتهم لئلاَّ يقود الى الخطاء والبغضاء

امارات البغض

البغض نقيض الحب ونسبتهُ اليهِ نسبة اللذة الى الالم وهو امرٌ لابدَّ منهُ اذا توفَّرت اسبابهُ لان الانسان لا بد من ان يبغض ما يضرُّهُ ويؤلمهُ

وقد ذكر المتكلمون في الفراسة من الاقدمين اوصافاً كثيرة زعموا انهُ يستدلُّ بها على مَن طبعهُ البغض كما ذكروا اوصافاً أُخرى يُستَدَلُّ بها على مَن طبعهُ الحبُّ فاغفلنا ذكرها كلها لانها غير صحيحة ولا يخلو ذكرها من ضرر ولو ابنَّا خطأَها لان الاحكام الفاسدة اعلق بالاذهان من الاحكام الصحيحة . وان كان فيها شيءٌ صحيح فهو غير محدود حتى يسهل الاستدلال عليهِ ودلالتهُ غير مضطردة حتى يصحَّ الاخذ بها

واظهر امارات البغض النفور من الشيء المبغوض او الذي يسبّب الالم . ويظهر هذا النفور على اساليب شتَّى كدفع الراس الى الوراء ومد اليدين الى الامام بغتةً كمن يدفع شيئاً عنهُ بهما او يتقي ضرراً واغماض العينين ورفع الشفتين الى الاعلى ونفخ المنخرين وتقطيب الحاجبين وحملقة العينين والكشر عن الانياب وصرير الاسنان وفتح الفم وقبض الكفين كمن يحاول ان يلكم بهما وتحريك اليدين حركات التهديد ورفس الارض بالقدمين والشخير والنخير والا. تجاف والبصق وارتعاد الشفتين وعض الكف واكل الاظافر وضحك التهكُّم واصفرار الوجه او احمرارهُ وانتفاش الشعر وانتفاخ المنخرين

ويختلف الناس في ما يبدو عليهم من امارات البغض باختلاف ما يرونهُ من كراهة الشيء المكروه او المبغوض وباختلاف شعورهم بهِ ومقدرتهم على ضبط انفسهم فيظهرون اولاً الكراهة او الاشمئزاز ثم يتدرجون الى اظهار النفور . والبغض مقصور على العقلاء والكراهة شاملة لهم ولغيرهم فيقال ان الانسان يكره الرائحة الخبيثة ولكن لا يقال انهُ يبغضها بل يقال انهُ يبغض عدوهُ والساعي في مضرتهِ

وقد قضت رسوم الحضارة على الانسان ان يكظم غيظهُ ويخفي دلائل بغضتهِ فتراهُ يقف متألماً يرى ما يبغض ويضطر ان يلجم نفسهُ عن اظهار بغضهِ على صورة جلية فيكتفي باظهار الكراهة والاشمئزاز ولو خلسةً. تكون في مجلس فيدخلهُ رجل يكرههُ جمهور كبير من الحضور فترى واحداً منهم يحاول الخروج لكي لا تقع عينهُ عليهِ وآخر يقلب شفتيهِ وآخر ينغض رأسهُ واكثرهم يظهر التململ والضجر من دخولهِ بينهم . الم في النفس تحاول اخفاءهُ فيتقطب لهُ الحاجبان كما يتقطبان وقت الشعور بالالم الجسماني وتنقلب لهُ الشفاه انقلابها من الشعور بالالم

الداخلي وتغمض العينان كما تغمضان عند الالم ثم تجحظان اذا اشتد البغض كما تجحظان اذا اشتدّ الالم وفي كل ذلك دليل على ان البغض من قبيل الالم كما ان الحب من قبيل اللذة. وقد يطبق الانسان فاهُ اذا رأى ما يكرههُ او يبغضهُ كأَنَّ فاهُ يشارك بقية عضلاتهِ في الانقباض لمقاومة الشيء المكروه ولكن الغالب ان يفتح فاهُ قليلاً ويبدي نابيهِ او نابًا واحدًا منهما كأنهُ مدفوع الى ذلك بخلق موروث فيهِ من حين كان نوع الانسان يدافع عن نفسهِ بانيابهِ ولهذا يلجأ الصغار الى العض دائمًا. وكذلك المتوحشون والمنحطون في سلَّم البشرية يقبضون على خصومهم ويوسعونهم عضًّا

هذا تعليل دارون لاظهار الاسنان وقت الغيظ وعلَّلهُ مونتغزا بان المرء يشعر بتغلبهِ على خصمهِ فيتبسَّم لذلك تبسُّم المسرور ولهذا لا يضحك الفضلاء اذا غضبوا لانهم لا يسرُّون بقهر خصومهم واما الاشرار والقساة فيسرون ويضحكون حقيقةً كأَنهم يحاولون ان يقنعوا خصمهم انهم اعز جانبًا من ان يخافوهُ. واذا كان البغض مقرونًا بالكراهة بصق الانسان على خصمهِ. والبصق عادة قديمة يأْتيها الانسان عفوًا حتى الشمبانزي من انواع القرود يبصق على خصمهِ واللاما وهو حيوان اميركي شبيه بالجمل يبصق على من يغيظهُ

واذا عجز المرء عن الإِضرار بمن يبغضهُ انصرفت قوتهُ الى الإِضرار بنفسهِ فترى الولد اذا اغتاظ غيظًا شديدًا ولم يستطع ان يظهر غيظهُ في من حولهُ عضَّ شفتيهِ ويديهِ ومزَّق ثيابهُ ونتف شعرهُ او كسَّر ما تصل اليهِ يدهُ من الآنية

والغيظ يؤَثر في دورة الدم فيزيد خفقان القلب ويضطرب بهِ التنفس وهذا سبب ما يحدث في الوجه من الاحمرار وتنفس الصعداء. واذا بلغ البغض اشدهُ عاد الدم ففارق الوجه بغتة وانتفخ المنخران وجحظت العينان وانقبضت الاعضاء كلها كأَنها تحاول ان تمزق نفسها حتى لقد يحدث ان الغيظ يقتل صاحبهُ

كالنار تأْكل نفسها ان لم تجد ما تأْكله

وهنا يدخل الحسد لانهُ الم وبغض نفسيَّان يخفيهما صاحبهما فلا يستطيعان الاَّ الظهور. ويدخل الاحتقار والازدراء والرعب والقسوة والشراسة. واكثر ما تظهر امارات الشراسة في الوجه حول الفم لان الاولين كانوا يقتلون الحيوان ليأْكلوهُ فصارت عضلات الفم تهيج كلما رأى الانسان حيوانًا يُقتَل او يذبح وصار الوجه يدل على القسوة والشراسة كما يدل على اللين والبشاشة ولهذا ترى وجوه بعض الناس وبعض الشعوب فيها سمات البشاشة والهشاشة واللين والدعة او فيها امارات الغيظ والبغض والكراهة والشراسة

الميكروب المنير

يتذكَّر الذين زاروا معرض باريس انهم رأَوا في قصر البصريات قناني مملوءة سائلاً ينير في الظلام من نفسهِ وقد قيل لهم ان في هذا السائل انواعاً من الميكروبات المنيرة . ويتذكر الذين اقاموا بقرب البحر ان مياههُ تنير في بعض الليالي ولا سيما اذا ماجت وتنفَّست امواجها او اذا سار فيها قارب كأَن تحريك مياه البحر يثير شيئاً منيراً فيهِ

والباحثون عمَّا ينير في ماء البحر وعمَّا ينير في القناني التي عُرضت في معرض باريس يعلمون ان ما ينير هنا هو غير ما ينير هناك . فالذي ينير في ماء البحر حيوانات مائية صغيرة اكثرها من النوع المعروف باسم سراج الليل Noctiluca وهو حيوان كروي الشكل قطرهُ ٠/١ من العقدة لهُ اهداب يحركها فينتقل بها من مكان الى آخر واما الذي ينير في القناني المشار اليها فانواع من الميكروبات الصغيرة جدًّا وهي مختلفة عدوا منها الى الآن نحو خمسة وعشرين نوعاً

ولا يُعلَم كيف يتولَّد النور من هذه الميكروبات ولكن يعلم انهُ لا يتولَّد ما لم يكن للاكسجين اتصال بها وان تولُّدهُ غير مصحوب بحرارة خلافاً لكل الانوار الصناعية . والحيوانات البحرية التي تنير لا يظهر نورها الاَّ اذا تحرَّكت وتهيجت اما الميكروبات المنيرة فلا يُعلم حتى الآن هل يقتضي اظهار نورها ان تحرَّك وتهيَّج ولكن يعلم انها لا تنير اذا انقطع الاكسجين عنها . وهي تعيش في السوائل المغذية اذا كان فيها شيء من الملح ويظهر نورها على اتمّهِ اذا اضيف الى السائل المغذي ٢٫٦ في المئة من ملح الطعام و ٠٫٠٧٥ في المئة من كلوريد المغنيسيوم و ٠٫٣ في المئة كلوريد البوتاسيوم

ولا بدَّ من تجديد الاكسجين في السائل دواماً لانهُ ينفد سريعاً . وهو يجدَّد اما بادخالهِ الى السائل فيشتدُّ النور حينئذٍ ويبقى شديداً واما بتحريك السائل من وقت الى آخر حتى يمتزج بهِ الهواء

والميكروبات المنيرة التي توجد في الاقاليم الباردة تبقى حيَّة ولو هبطت الحرارة الى الصفر ويبلغ نورها وتكاثرها اشدها اذا بلغت الحرارة ١٥ درجة فوق الصفر . واما الميكروبات التي توجد في الاقاليم الباردة فتعيش ولو بلغت الحرارة ٣٧ درجة فوق الصفر

واذا حُلّل نور هذه الميكروبات بالسبكتروسكوب ظهر طيفها ضيقاً جدًّا مائلاً فسحة اللون الازرق والاخضر من الوان طيف الشمس ولكنهُ كافٍ للتأْثير في الواح التصوير الشمسي فتصور بهِ في الظلام ولا سيما اذا كانت جديدة . واذا عتقت قلَّ نورها كثيراً ولم يعد يظهر جيداً في الصور الفوتوغرافية الاَّ في اطرافها حيث تتصل بالسائل

ولما اكتشفت الميكروبات المنيرة عُقِدَت الآمال بانها ستكون انوار المستقبل فتنير ظلمة الليل دواماً من غير نفقة الاَّ النفقات الاولى التي تستحضر بها لكن من يقرأُ السطور المتقدمة يجد ان لا بدَّ لها من سائل تغتذي بهِ ومن املاح تضاف اليهِ ومن اكسجين ينفذ اليها فقد تكون نفقاتها اعظم من نفقات نور الغاز والنور الكهربائي على ضعف نورها ولذلك ستبقى من الغرائب العلمية الى ان تكشف طريقة اخرى تجعلها عملية

تجارة القطر المصري

صدر تقرير الجمارك المصرية عن العام الماضي وقد انعمنا النظر فيهِ فلخصنا منهُ المقالة التالية

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري في العام الماضي ٠٨٨ ٧٣٠ ١٥ جنيهاً مصرياً يضاف اليها بضائع صدرت منهُ بعد ورودها اليهِ وقيمتها ٣٢٦ ٢٤٧ جنيهاً وثمن السكاير التي صدرت منهُ وهو ٨٧٦ ٤٢٣

وبلغت قيمة الواردات اليهِ ٩٣٨ ٢٤٤ ١٥ وقيمة البضائع التي وردت اليهِ مارَّة الى بلاد أُخرى ٥٣٨ ٢٢١ ١ جنيهاً فقيمة الصادرات والوردات كلها ٧٦٦ ٨٦٧ ٣٢ اي نحو ٣٣ مليوناً من الجنيهات المصرية

ولو كانت هذه التجارة الواسعة في يد ابناء البلاد لحقَّ ان ننظر اليها من باب تجاري لنرى كم ربح القطر منها لكنها ليست في يدهم او ليس في يدهم منها الاَّ جزء صغير فلا نلتفت اليها من باب تجاري بل من باب زراعي وعمراني نبحث اولاً في صادراتنا وثانياً في وارداتنا وثالثاً عن البلدان التي نتعامل معها

(١) صادرات القطر المصري

لا يخفى ان اهم صادرات القطر المصري القطن وبزرتهُ فان قيمة الصادر منهما في السنة تبلغ نحو ١٥ مليوناً من الجنيهات. وما بقي من الصادرات فدون ذلك كثيراً اوفرهُ قيمة السكَّر ويصدر منهُ في السنة ما قيمتهُ نحو نصف مليون من الجنيهات ثم الفول وثمن الصادر منهُ نحو ربع مليون من الجنيهات ويأتي بعد ذلك البصل والبيض والجلد . وقد زادت قيمة الصادر من الصمغ العربي بعد فتح السودان فبلغت في العام الماضي نحو ربع مليون من الجنيهات . وهاك جدولاً ذكرنا فيهِ قيمة اهم صادرات القطر المصري في العام الماضي ومتوسط الصادر من

سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ ومن سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ ومن سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٨ وذلك بالجنيهات المصرية

	١٩٠١	١٨٩٤ الى ١٨٩٨	١٨٨٩ الى ١٨٩٢	١٨٨٤ الى ١٨٨٨
القطن	١١ ٨٣٣ ٢٧١	٨ ٩٩٩ ١٦٠	٨ ٦٣٤ ٥٥٥	٧ ٤٨٦ ١٦٨
البزرة	١ ٩٤٠ ٢٤٠	١ ٣٨٥ ٣٩٩	١ ٦٢٨ ٦٣٣	١ ٣٥٤ ٤٠٦
السكَّر	٥٤٢ ٢٤٥	٦٠٩ ١٣٠	٥٧٤ ٧٤٥	٤٨٨ ٠٢٣
الفول	٢٦٠ ٥٠٨	٤٥٧ ٢٦٤	٦٦٩ ٣٧٧	٥٧٦ ٢٤٠
الصمغ	٢٥٤ ٧٨٦	٣ ٩٤٠	٨٤٨	٥٠ ٢٨٦
البصل	١٢٩ ٩٢٦	١٥٣ ٨٧٦	٩٧ ١٥٨	٣٣ ٤٠٢
البيض	٨٠ ٩٩٠	٢٣ ٢٧٥	—	—
الارز	٧٤ ٥٦٢	١٠١ ٧٧٤	٩٨ ٤٣٥	١٢٣ ٦٥٥
الجلد الفطير	٦٠ ٠٢٣	٥١ ٩٨٨	٤٥ ٠٠١	٦٣ ١٢٢
الكتان	٣١ ٨٥٨	٥١ ٤٤٠	٤٦ ٧٥٣	٥٩ ٨٩٥
الطماطم	٢٧ ٢٦٣	١٦ ٠٣٣	١٨ ٧٧٠	—
الحناء	٢٥ ٤٥٦	١٤ ٠٠٧	١٥ ٠٢١	١٧ ٠٦٧
ريش النعام	٢٤ ٦٢٢	٩ ١٣٨	٣ ٠٧٩	٧ ٠٠٢
العدس	٢١ ٩٠٩	١٥ ٥٠١	٣٥ ٥٢٢	٣٣ ٨٢٦
الدبيغ	٢١ ٣٠٢	٣٠ ٤٦٤	٤٢ ٥٧٦	٥٢ ٦٥٥

هذه اهم الصادرات الآن وكان يصدر من الحنطة ما قيمتهُ نحو ربع مليون جنيه في السنة والصادر منها الآن قليل جدًّا تقلُّ قيمتهُ عن قيمة الوارد. ويظهر من هذا الجدول باجلى بيان ان كل اعتماد القطر المصري في معاملاتهِ مع غيرهِ من البلدان هو على الحاصلات الزراعية لانهُ لا يصدر منهُ شيءٌ لهُ قيمة صناعية الاَّ السكاير والسكَّر والجلد المدبوغ والقيمة الصناعية فيها لا تزيد على مئتي الف جنيه

وقد يظن لاول وهلة ان القطن اثمن كل حاصلات القطر المصري لا يدانيهِ شيءٌ آخر من الحاصلات كما لا يدانيهِ شيءٌ آخر من الصادرات . وهذا وهم لان العشرة الملايين سكان القطر المصري يأكلون في السنة من القمح والذرة ما يساوي عشرين مليونًا من الجنيهات وهذا المقدار الكبير من القمح والذرة يستغلُّ كلهُ تقريبًا من القطر فالبلاد تكفي نفسها

من حيث الطعام ولا يبقى عليها الاَّ ان تزرع شيئاً تدفع من ثمنهِ الاموال الاميرية وربا الدين المصري وثمن الثياب وبعض الحاجيات والكماليات وهو ما تُصدِر غلتهُ وتقبض ثمنهُ ويبلغ نحو خمسة عشر مليونًا من الجنيهات

ويظهر من امعان النظر في الجدول السابق ان قيمة القطن زادت منذ عشر سنوات الى الآن نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . والظاهر ان هذه الزيادة ثابتة لا يخشى ان تزول لانها مبنيَّة على اتساع زراعة القطن وزيادة الحاصل منهُ اكثر ممَّا هي مبنيَّة على سعرهِ لان كمية القطن نفسها زادت مليونًا ونصف مليون من القناطير وهي تُطلَب كلها الآن فاذا نقصت عن هذا الحد ارتفع السعر ارتفاعاً يوازي النقص او يزيد عليهِ

والسكر ياتي بعد القطن وبزرتهِ ولو كان دونهما كثيرًا . والظاهر ان الصادر منهُ باقٍ على حالة واحدة تقريباً منذ عشرين سنة الى الآن الوزن نحو خمسين الف طن والثمن نحو خمس مئة الف جنيه

والفول يتلو السكَّر وقد بلغت قيمة الصادر منهُ في العام الماضي ٢٦٠ الف جنيه وكانت منذ عشر سنوات نحو خمس مئة الف جنيه ولا اعتماد عليهِ لان غلتهُ تختلف سنة بعد سنة في مقدارها فيتناول الفرقُ ما يزيد من غلتهِ على مقطوعية القطر

وياتي بعدهُ في الجدول المتقدم الصمغ العربي وقد زاد الصادر منهُ في العام الماضي زيادة فاحشة فبلغت قيمتهُ ٢٥٤ الف جنيه ولم تبلغ في العام الذي قبلهُ مئة الف جنيه . وكان الصادر منهُ اقل من ذلك كثيرًا قبل ثورة السودان(١) وقبل استنباط المواد الكيماوية التي تقوم مقامهُ فلا ينتظر ان تبقى تجارتهُ على هذا الحد من الرواج في الاعوام التالية لان السعر الذي هبط اليهِ الآن لم يعد يفي بنفقات جمعهِ ونقلهِ من داخلية بلاد السودان الى مراكز التجارة. وهو ليس من حاصلات القطر المصري

والبصل تجارتهُ حديثة وغير مأمونة لانهُ يتلف اذا طال عليهِ السفر ويباع بثمن بخس اذا تأخر وصولهُ الى انكلترا عن وصول البصل الاسباني . والبيض تجارتهُ آخذة في النمو يصدر منهُ في السنة نحو سبعين مليون بيضة ثمنها نحو ثمانين الف جنيه واذا لم تزد بل اكل الناس بيض دجاجهم فلا خسارة على القطر لان البيض من اكثر الاطعمة غذاءً بالنسبة الى ثمنهِ والناس تحتاجون الى الاطعمة المغذية لان قواهم العقلية والجسدية متوقفة عليها

(١) يظهر من تقرير الكولونل ستوارت ان الصادر من الصمغ بلغ ١٣٢٦٤٦ قنطارًا سنة ١٨٨٠ و١٥٠٨٦ قنطارًا سنة ١٨٨١ . وقد بلغ في العام الماضي ١٦٧٠٠٠ قنطار

الواردات

نشرنا في الجدول التالي قيمة اهم الواردات الى القطر المصري في العام الماضي ومتوسطها السنوي من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ ومن سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ ومن سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٨ وذلك بالجنيه المصري

	١٩٠١	١٨٩٤ الى ١٨٩٨	١٨٨٨ الى ١٨٩٣	١٨٨٤ الى ١٨٨٨
المنسوجات القطنية	٢٤١٤ ٧٥٩	١٥٤٩ ٥٩٠	١٤٠٥ ١٠٣	١٤١٩ ٠٧٨
الفحم الحجري	١٠٥٤ ٧٧٧	٤٨٠ ١٩٤	٤٨٥ ٧٢٦	٤٣٠ ٢٠٦
الدقيق	٥٢٢ ٨٩٧	٢٩٢ ٧٢٢	١٠٦ ٨٠٢	١٠٥ ٩١٦
الارز	٣٢٦ ١٩٥	١٢٣ ٠٥٠	١٤١ ٨٤٥	١٢٥ ٥٧٠
المسكرات	٢٥٠ ٨٦٤	٢٠٠ ١١٩	٢٢٧ ٨٠٠	٢١٨ ٢١٦
غزل القطن	٢٤٥ ٩٥٢	١٦٦ ٨٠٠	١٥٨ ٧٣٦	١٣٩ ٥٨٢
النيل	٢٢٥ ٦٩٠	١٨٧ ٢٣٩	٢٠٠ ٠٨٦	٢٣٣ ٧٧٩
البترول	١٩٦ ١٠٠	١٦٢ ١٩٥	١٤٩ ٧٢٠	١٤٤ ١١٤
البن	١٩٣ ٤٢١	٢٤٧ ٦١٢	٢٧٤ ٤٦٧	٢٣٢ ٣٨٠
اكياس فارغة	١٥١ ٩٣٦	١١٥ ١٣٥	١٢٥ ٩٤١	٨٨ ٣٧٥
الحرير	١٤١ ١٠٧	١٠٨ ٨٠٨	١٣٨ ٣٣٨	١٣٩ ٢٦٧
زيت البزور	١١٥ ٤٥٣	٥٢ ٩٣٥	٦٠ ٥٠٥	٦٣ ٨٢٣
السمنتو	١١٠ ١٦٥	٢٦ ٣١٦	١٧ ٢٣١	—
القمح	١١٠ ٣٧٤	٧١ ١٧٠	١١٤ ٢٥٠	١٠٣ ٠٥٠
الجبن	١٠٧ ٤٨٦	٧١ ١٣٦	٦٤ ٧٤	٦٨ ٤١٣
فحم الحطب	٩٨ ٤٤٨	٧٣ ٧٣٩	٧٤ ٦٦٨	٧٢ ٦٧١
الصابون	٩٧ ٥١٣	٨٩ ٤٤٦	٩٣ ٢٠٩	١١٦ ٩٨٩
زيت الزيتون	٧٨ ٥٩٧	٧٥ ٠٨٦	٨٨ ٤٨٤	٨٢ ٣٧٣
الزبدة	٧٧ ١٩٥	٤٧ ٩ ٨	٤٧ ١٨٧	٦٢ ٣٥٥
السكَّر	٧٦ ٩٨٠	٢٦ ٦٩٩	٤٧ ٥١٥	٩٥ ٦٦٤
السمسم	٧٠ ٣٥٩	٤٣ ٨٣٤	٢١ ١٤٦	١٥ ٩٧٤

هذه اهم الواردات واكثرها ثمنًا وهي اما معدنية او صناعية او زراعية . اما المعدنية

كالفحم الحجري وقد بلغ ثمن الوارد منهُ في العام الماضي اكثر من مليون جنيه والحديد وبلغ ثمن الوارد منهُ في العام الماضي ٧٥٢ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ ٩١٨ الف جنيه والنحاس وثمن الوارد منهُ ١٨٢ الف جنيه فمَّا لاغنى لنا عن جلبهِ من الخارج وقس على ذلك ما يصنع من المعادن كالآلات البخارية ويبلغ ثمنها في السنة نحو خمس مئة الف جنيه . والصناعية بعضها لابدّ من جلبهِ من الخارج وهو ما ليست موادهُ الاصلية عندنا وما يقتضي قوة رخيصة لعملهِ . واما ما موادهُ الاصلية عندنا كالمنسوجات القطنية وما يمكن ان تصير موادهُ عندنا كالمنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية فلابدَّ من بذل الهمَّة في ادخال صناعتهِ الى القطر . ولا عبرة بما فعلتهُ الحكومة حديثاً وهو ضرب ضريبة على المنسوجات البلدية اذا صُنعت في المعامل توازي رسم الجمرك لان الحكومة لا تستطيع ان تصرَّ على عملها هذا اذا تبيَّنت منهُ ضررًا للبلاد . ومن هذا القبيل الصابون فان موادهُ الاصلية صارت موجودة في القطر بعد استخراج الزيت من بزر القطن ولا يبعد ان يكثر عمل الصابون فيهِ حتى يكتفي بصابونهِ ويكفي بلاد السودان ايضاً ومن هذا القبيل الجبن والزبدة

اما الواردات الزراعية فقلَّما يوجد منها شيء لا يمكن استغلالهُ في هذا القطر بالسهولة الاَّ النيلة والبن واما الدقيق والحرير والحنطة والسكر والسمسم فيجب ان يزرع منها في القطر ما يفي بحاجة اهلهِ على الاقل

البلدان التي نتعامل معها

نأتي الآن الى البلدان التي نتجر معها اي البلدان التي تشتري صادراتنا ونشتري منها وارداتنا لنعلم مقدار علاقتنا التجارية مع كلٍّ منها . وننظر اولاً الى الصادرات فاذا قسمناها الى الف قسم حسب ثمنها رأينا الممالك المختلفة التي تتعامل معنا تأخذ منها على النسبة التالية

انكلترا واملاكها	٥١٧	في الالف من الصادر
روسيا	١١١	" " " "
فرنسا والجزائر	٠٨٠	" " " "
اميركا	٠٦٥	" " " "
المانيا	٠٥٠	" " " "
النمسا والمجر	٤٠	" " " "
سويسرا	٠٣٧	" " " "
ايطاليا	٣٥	" " " "

اسبانيا	٠٢٩	في الالف من الصادر
تركيا	٠٢٠	" " " "
الصين والشرق الاقصى	٠٠٧	" " " "
البلجيك	٠٠٥	" " " "

فانكلترا تشتري منا اكثر من نصف صادراتنا اي ما تزيد قيمتهُ على ثمانية ملايين من الجنيهات . وتتلوها روسيا فتشتري منا نحو عشر صادراتنا او ما قيمتهُ مليون وسبع مئة الف جنيه. ثم فرنسا وتشتري منا ثمانية في المئة من صادراتنا او ما قيمتهُ نحو مليون وثلثمئة الف جنيه وبعدها الولايات المتحدة الاميركية وهي تشتري منا ما قيمتهُ مليون جنيه والمانيا وهي تشتري ما قيمتهُ نحو ثمانية الف جنيه وهلمَّ جرًّا . فالمعاملة الكبرى هي الآن بيننا وبين بلاد الانكليز وقد كانت كذلك قبل الاحتلال الانكليزي بل كانت اكثر ممَّا هي الآن. وهي كذلك من حيث الوارد الى هذا القطر لكنها ليست على نسبة الصادر تماماً كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ ما يرد من كل مملكة من الممالك التالية بالنسبة الى قيمة الواردات كلها

انكلترا واملاكها	٤٣٢	في الالف من الوارد
تركيا	١٤٧	" " " "
فرنسا والجزاير	٩٢	" " " "
النمسا والمجر	٦٩	" " " "
ايطاليا	٥٣	" " " "
روسيا	٤٠	" " " "
المانيا	٣٥	" " " "
بلجكا	٣٤	" " " "
اميركا	٢١	" " " "
اليونان	١٠	" " " "
الصين والشرق الاقصى	٠٩	" " " "
سويسرا	٠٣	" " " "
اسبانيا	٠١	" " " "

فانكلترا تشتري منا اكثر ممَّا نشتري منها وتركيا تشتري منا قدر سبع ما نشتريهِ منها وفرنسا تشتري منا قدر تسعة اعشار ما نشتريهِ منها والنمسا تشتري منا قدر ثلثي ما نشتريهِ

منها وايطاليا تشتري منا قدر ثلثي ما نشتريهِ منها ايضاً وروسيا تشتري منا نحو ثلاثة اضعاف ما نشتريهِ منها وهلمَّ جرًّا. فعمدتنا الكبرى في بيع صادراتنا ومشترى وارداتنا على انكلترا واكثر اعتمادنا في تجارتنا وزراعتنا على القطن فمن ثمنهِ ندفع الاموال الاميرية وربا دين الحكومة ولولاهُ ولولا معامل انكلترا لساءت حالنا وتغيَّرت شؤُوننا تغيُّرًا كبيرًا

مخترعات النساء

قال احد الكتبة المشهورين يمكن عقل المرأة ان يصل الى ما وصل اليهِ عقل الرجل ويزيد عليهِ اذا ارادت . وفي عدد المخترعات التي سجلتها النساءُ دليل على صحة هذا القول فانها كلها تشهد بان قوة الاستنباط في المرأة مثلما هي في الرجل او هي فيها اشد منها فيهِ. ولما كانت المرأة الاميركية رائدة بنات جنسها في الجهاد في ميدان الحياة كان اكثر اختراعات النساء في اميركا وكان الاميركيون اول من اهتم بحصر عدد ما اخترعهُ نساؤُهم

وقد عرضت منذ بضع سنوات امثلة لمخترعات النساء في معرض اتلنتا وكلها غريبة في بابها ذات فائدة لا تنكر ناطقة بما انطوت عليهِ النساءُ من المهارة التي لم يكن احد يعتقد بوجودها فيهنَّ قبلاً . وكانت القوانين تمنع النساء من تسجيل اختراعاتهنَّ فلذلك لم يُعلَم منها قبل سنة ١٨٦٠ الاَّ عشرة اختراعات او اثنا عشر اختراعًا . ثم اذ تيسر لهنَّ الانتفاع بنتاج عقولهنَّ اقبلن على الاختراع ايَّ اقبال فبلغ ما سُجّل من مخترعاتهنَّ في العشرين سنة الماضية ما يعد بالمئات

واول اختراع لنساء اميركا كان سنة ١٨٠٥ وهو آلة لنسج القش مع الحرير او القطن اخترعتهُ ماري كيس. والثاني كان سنة ١٨١٥ وهو كورست اخترعتهُ ماري برش . واخترعت امرأة اخرى آلة لعمل الكعك سنة ١٨١٩ واخرى مواد لحفظ الالوان سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤١ اخترعت امرأة كورستًا جديدًا ولا بدَّ ان ماري برش التي اخترعت الكورست الاول سنة ١٨١٥ ربحت منهُ ارباحًا وافرة اذ بقيت بضاعتها نحوًا من ست وعشرين سنة بلا مناظر. وسنة ١٨٤٥ اخترعت سارة ماثر تلسكوبًا ترى فيهِ المواد تحت الماء . وسنة ١٨٤٩ اخترعت ماري ودورد كرسيًّا يهز وتعلق بهِ مروحة . وسنة ١٨٥٨ اخترعت سوسان تيلر قلمًا للكتابة بوضع الحبر فيهِ . وزادت الاختراعات بعد سنة ١٨٦٠ زيادة عظيمة فاخترعت سارة سمث آلة لحصد القمح وحش الحشيش واستنبطت غيرها اسلوبًا جديدًا لتنقية المعادن من الكبريت

وعجلات لقاطرات السكك الحديدية ولرفع الرماد منها وادوية لاحياء الشعر وآلات لعمل السجاير وتصرَّفت احداهنَّ في استعمال الالعاب النارية واستعملتها للاشارات ليلاً

واكثر مخترعات النساء الحديثة مختص بالاثاث وآلات الكتابة والنسج والالعاب وآلات الموسيقى والآلات الزراعية والادوات البيتية وما اشبه

ومن مخترعات النساء التي عرضت امثلتها في معرض اتلنتا آلات كهربائية وآلات لعمل عرى الازرار في لحظة عين ونوع من القرميد تتداخل الواحدة منهُ بالاخرى فتستغني عن الجير والمونة والبناءُ بهِ متين كما لو كان بالحديد . وآلة لتقطير المياه

واكثر مخترعات النساء ربما هو ما كان متعلقاً بالعاب الاولاد ولهنَّ مهارة عظيمة في اختراع الالعاب وكثير من مخترعاتهنَّ هذه قد سجل باسماء الرجال فلم يبقَ ذكر للمرأة التي كانت اول من اشار بهِ

وقد جاء في المثل الاميركي ان الاختراع غذاء لصاحبهِ فلذلك تراهم يتسابقون اليهِ متشبهين باديسون وبلِ وغيرهما من الذين جمعوا الملايين بمخترعاتهم وترى المدارس تهتم بتعليم العلوم الطبيعية والكيماوية والميكانيكية وصار التعليم في اميركا آلة للفائدة العملية

وفي فرنسا كثيرات من المخترِعات غير ان اكثر ما اخترعنهُ آلات للزينة مما يدل على تفننهنَّ في المسائل التي للذوق علاقة كبيرة بها

فمن اختراعاتهنَّ مشط تنزل منهُ الزيوت العطرية على جلد الراس وغلاف للسجاير من ورق الورد المكبوس ومسواك عطري الطعم مانع للفساد . وزهرية بهيئة فراشة وآلة لمنع سرقة اكياس الدراهم من الجيوب وآلة يكتب بها الانسان وهي في جيبهِ سواءٌ كان ماشياً او راكباً في مركبة او على حصان . ولعلَّ النساء اخترعن العاب الاولاد التي تمشي وتصوت وتحرك رؤُوسها

وفي فرنسا كثير من المخترعات الميكانيكية سُجل باسماء صاحبات المعامل التي تُعمَل فيها ولكن المرجح ان الفضل في اختراعها للرجال العاملين في تلك المعامل

ولو ذكر التاريخ اسماء الذين اتقنوا العجن والخبز والطبخ والغزل والنسج والصبغ والغسل من قديم الزمان لوجدنا بينها اسماء كثيرات من النساء لا سيما وان حيلة المرأة كانت في العصور الغابرة عصور السذاجة والهمجية اوسع منها الآن بل كانت اوسع من حيلة الرجل في ما يتعلَّق بتدبير المنزل ولوازم المعيشة كما ان حيلتهُ كانت اوسع من حيلتها في ما يتعلق بالحرب والجلاد والغزو والنهب

نسيم برباري

منزلة الشعر من التاريخ

﴿٣﴾

نظرة في ديوان حاتم الطائي

اذا تصفحنا ديوان حاتم الطائي وجدناهُ يخاطب الحارث بن عمرو ملك العرب بقولهِ

فككتَ عديًّا كلَّها من اسارها فأَفضلْ وشفِّعني بقيس بن جحدرِ
ابوهُ ابي والامهاتُ امهاتنا فأَنعمْ فدتك النفس اهلي ومعشري

ويُستخلص من ذلك ان هذا الملك غزا عشائر من قبيلة واحدة وقد اورد حاتم اسماءها كما رأيت وادَّعى ان احدى تلك العشائر وهي عشيرة قيس بن جحدر ذات صلة نسبية مع عشيرتهِ اقرب من سواها . فدلنا ذلك على انهُ من عشيرة لم يذكر اسمها في هذا المقام وذلك لان الملك لم يوقع بها فاذا اردنا معرفة اسم عشيرتهِ نجدهُ واردًا في قولهِ

بنو ثُعَل قومي فما انا مدَّعٍ سواهم الى قوم ولا انا مُسنَدُ(١)

ومما يُوْجد من اقوال هذا الشاعر حجة تاريخية قولهُ

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارة بلحيان حتى خفتُ ان اتنصَّرا

فانهُ دليل على وجود النصرانية بين العرب وقد ذكر ان القوم المنبثين بين نابٍ ودارة من النصارى . والمشهور عن حاتم انهُ كان نصرانيًّا ولعلهُ تنصَّر بعد ذلك . وسواء ثبت تنصُّرهُ او لم يثبت فان لنا من قولهِ دلالة واضحة على انهُ كان اليفًا للنصارى

واذا تفقَّدنا مغازي هذا المضياف الكريم حيث قال

ان كنتِ كارهةً معيشتنا هاتي فحلّي في بني بدرِ
الضاربين لدى اعنَّتهم والطاعنين وخيلهم تجري
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

نجد في بيتهِ الاول دليلاً على ان العربي كان اذا شكا من عيشهِ شظفًا فارق عشيرتهُ فاقام في ديار غير ديار قومهِ مجاورًا عشيرة غير عشيرتهِ ونستدلُّ من ذلك على ان العرب مع احتفاظهم على العصبية واعتنائهم بحفظ الانساب اتمَّ عناية وتوثقهم بوشائج القربى اكرم توثق كان آحادهم يفارقون احياءهم وعشائرهم اذا ضامهم ضيق مرتزق

ونجد في بيتهِ الثاني تمثيل احدى هيئات القتال المعدودة اظهر الدلائل على البأس

(١) المسند الدَّعي او المدفوع من قوم الى قوم

والبراعة في فن الحرب عند العرب وهي الضرب بالسيوف وقد تزاحمت الفرسان والطعن بالذوابل وقد اوسعوا الكرَّ في حومة الميدان . وقد ألمَّ زهير بن ابي سلمى بهيئات القتال فذكرها على الترتيب هكذا

يطعنهم ما ارتموا حتَّى اذا اطَّعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وهذا نصٌّ صريح بان الرماية من معدَّات القتال وان انتشاب الوغى يُبدَأُ بترامي السهام والقومان في ابتعاد ثم بالرماح عن قرب ثم بالنصال في المصادمة فبالاعتناق بالايدي وقد تقصَّفت الذوابل وتكسَّرت المناصل وليس بعد ذلك الاَّ ورود كاس الحمام

ولم يكن شأن الرماية بالامر اليسير يدلُّك على ذلك تمرُّنهم عليها منذ الصغر أخْذًا عن الحذَّاق فيها قال معن بن اوس المزني

اعلِّمهُ الرماية كل يومٍ فلما اشتدَّ ساعدهُ رماني

ومع كون السهام والرماح من عدد الهيجاء فالمنزلة العلياءُ للسيوف قال ضرار بن الأزور

عشية لا تغني الرماحُ مكانهاَ ولا النبلُ الاَّ المشرفيُّ المصمّمِ (١)

ولنرجع الى بحثنا في شعر حاتم فنقول انَّ قولهُ

الخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

يستفادُ منهُ ان العرب (او قبيلة الممدوح) كانوا ينزلون الوضيع منهم وهو المعبَّر عنهُ بالنحيت بمنزلة الرفيع الذي دعاهُ بالنضار . والنحيت ما نحُت وليس بجيد والنضار الاسل تعمل منهُ القداح . وكذلك تتساوى عندهم مرتبة الفقير بمرتبة الغني فلا ميزة بينهما الاَّ بالشجاعة وكرامة الفعال وشريف الخلال كما اوضح ذلك عروة بن الورد العبسي بقولهِ

ما بالثراء يسود كلُّ مسوَّدٍ مثرٍ ولكن بالفعالِ يسودُ

واحتياز الوضيع منزلة الرفيع امرٌ دالٌّ على بلوغ المعدلة من احكامهم مكانة لا يتمتَّع بها الاَّ الشعب السامي المدارك الراقي اعلى ذرى الكرامة فكان نظامُ الأُمة العربية في زمنها الجاهلي يفوق نظام الشعوب اليونانية في عهد عظمائها ومشترعيها كليكورغورس الذي كانت شريعتهُ تضع امتيازات عديدة بين طبقات رجالها مخوَّلة ذوي الثروة حقوقًا خاصَّة . وكذلك نجد دستور الامة الرومانية غير منصف فانهُ لم يساوِ بين سوقتها واشرافها في الحقوق العامَّة ولطالما نشبت نيران الخصومة في منتدياتها وبين احزابها لاستئثار الاماثل بحقوق منعوها عن العامة بغيًا واعتسافًا عن محجَّة العدالة فنستدلُّ من ذلك على ان الامة العربية كانت تجري

(١) صمم السيف مضى في العظم فقطعهُ فهو سيف مصمم

سنن الانصاف جريًا لا نظير لهُ في تاريخ الامم الأُخر

ولا خلاف ان الانصاف ناجم الأَنفة وعزَّة النفس بدليل ما هو معلوم من أَن الاميال منصرفة الى الاستبداد فحيثما تكون تلك الاميال مكفوفة العيان لا شكَّ بوجود يدٍ قابضةٍ على زمامها قال المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفَّةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

واذا ثبت لنا القولُ ان اندفاع الاقبال على الظلم وامتناع القبول بالاظطلام ناجم عن علةٍ كان لنا ان نقول ان تلك العلة هي انفة عموم القوم من الصغار ورفضهم الانقياد للزعماء على وجه الاستعباد وتفويض امورهم الى ذوي الرأي لا على وجه الاستبداد . والمتحصل من ذلك ان العرب القدماء كانوا في مقدمة الأُمم في عزة النفس ومنعة الجانب

ولربما تراءى للقارئ بداءة بدءٍ ان في كلامي تناقضاً وتضارُبًا حيث يرى في ما اوردتهُ من شعر عبيد بن الابرص ان ملوك العرب كانوا يحكمون حكمًا استبداديًا وفي ما اوردتهُ من شعر حاتم انهم كانوا غير مستبدين . والجواب ان العرب كانوا قبائل ولكل قبيلة نهج وكما ان الشعوب اليونانية كانت مختلفة الاحكام فحكومة اثينا جمهورية وحكومة سبارته ملكية وكلتا الحكومتين يونانيتان كذلك كانت قبائل العرب ليست في حال واحدة من حيث الانقياد لرؤسائها

وقد كان حاتم الطائي كريم العرب المضروب بهِ الامثال ولهذا يُلم بالضيافة في شعرهِ كثيرًا كقولهِ

وابرز قدري بالفضاء قليلها   يُرى غير مضنون بها وكثيرُها
وليس على ناري حجاب يكنُّها   لمستوبص ليلاً ولكنْ انيرُها(١)

وكقولهِ

ولا تستري قدري اذا ما طبختها   عليَّ اذن ما تطبخينَ حرامُ
ولكن بهذاك اليفاع فأَوقدي   بجزلٍ اذا اوقدتِ لا بضرامِ(٢)

علمنا مبلغ الكرم في نفوس جاهلية العرب وعرفنا مقدار ما كانوا يتحفزون لاكرام الضيف حتى انهم كانوا يوقدون النيران لاجل الاهتداء الى منازلهم متخيرين مواقعها في يفاع من الارض كما سبق الشاهد او في رأس جبل كما قال حماس بن ثامل

ومستنبحٍ في لج ليل دعوتهُ   بمشبوبةٍ في رأس صمدٍ مُقابلِ

واذا اضفنا الى اقوال حاتم السابق ايرادها بعض ماقالهُ عروة بن الورد العبسي في القرى كقوله

(١) استوبص من وبص اي لمع (٢) الجزل الغليظ من الحطب والضرام دقيق الحطب .وفي القافية اقواء

فراشي فراش الضيف والبيت بيتهُ ولم يُلهني عنهُ غزالٌ مقنَّعُ (١)
احدِّثهُ ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انهُ سوف يهجعُ (٢)

استخرجنا من ذلك ان العرب كانوا يعدون محادثة الضيف بالبشاشة من واجبات القرى. وكانوا يجلسون لمسامرة ضيوفهم حتى يرين (٣) على عيونهم الكرى غير متشاغلين عن الضيفان بالانقطاع الى معاشرة العيال . وان الضيف ينزل بيت مضيفهِ آخذًا ملء الحرية كانهُ بيتهُ

وربما تخيَّل لبعض المطالعين ان في قول عروة "احدثهُ ان الحديث من القرى" ما يستفاد منهُ ان بعض العرب كانوا يعمدون الى مشاغلة الضيف بحديثهم حتى يغلب عليهِ النعاس فيهجع ولا يقدمون لهُ طعامًا عادّين الحديث معهُ قرى فادفع هذا الوهم بما يقول حاتم

ولا أُزرّف ضيفي ان تأوَّبني ولا اراني لهُ ما ليس بالدانِ (٤)

وزرَّف الرجل لضيفهِ اكثر الكلام لهُ فشاغلهُ . وهذا نصٌّ على ان التزريف كان عندهم معيبًا وانهم كانوا يسرِعون اولاً الى اعداد الطعام ثم بعد ان يتناول الضيف كفايتهُ يأخذون في محادثتهِ . ولا يستقيم لنا فهمُ ذلك الاَّ متى جمعنا بين الاقوال السابقة وتعمَّدنا وجهًا نزيل بهِ الاشكال ويتقوَّم بهِ كل ما ورد

ونقتصر على هذا القدر في الضيافة ونتطرَّق الى ابحاث اخرى من شعر حاتم فقد ورد لهُ من ابيات

ولا يُلطَم ابن العمّ وسط بيوتنا ولا نتصبَّى عرسهُ حين يغفلُ

وهو دليل ان العرب كانوا يتزوَّجون من الاباعد لكي لا تضوي (٥) انسالهم ولتنجب ابناؤهم وان اخوة زوجاتهم واقرباءهنَّ كانوا ينزلون بين مصاهريهم فتُكرَم وفادتهم وتصان أعراضهم

ولا غرو اذا عددنا التزوُّج من الاباعد دليل الملاحظة الدقيقة في حفظ النوع والانتباه التام لتوفير وسائل النموّ والاعتناء في حفظ الصحة وكل ذلك لا يكون الاَّ عند الامم الحائزة على حظ وافر من سموّ المدارك . واقلُّ ما يُثنى عليهِ انهُ خير من تمدُّن بعض الممالك الآخذة في الاضمحلال لاطلاقها عنان الشهوات واغفالها وسائل نموّ الأُمة

ولم يتفرَّد حاتم بذكر الزواج من الاباعد فانَّ حكمة هذا المبدإِ القويم كانت مشهورة عند قبائلَ عديدة وشواهدها في كلامهم كثيرة فمنها قول عروة بن الورد العبسي

همُ عيَّروني ان امي غريبة وهل في كريم ماجدٍ ما يُعيَّرُ

(١) غزال مقنع اي حسناء (٢) يهجع ينام (٣) يغلب (٤) تأوبهُ اتاهُ ليلاً
(٥) ضوى نحف وهزل وفي الحديث اغتربوا ولا تضووا اي تزوجوا في الاجنبيات ولا تتزوجوا في العمومة

وقولهُ ايضاً

اعيرتموني ان امّي تريعة وهل يُنْجِبَن في القوم غير الترائعِ

وفي هذا الكلام امران الاول الزيجة من الاباعد وقد ذكر عروة ان المنجبات هنَّ الغريبات والثاني تعييرهم عروة بان امهُ غريبة وهذا امرٌ لو حققنا باطنهُ لوجدنا وجه الشكوى منهُ منحرفاً عن وجهة الحقيقة وانما عِيب لأَن امهُ من قبيلة غير محمودة الفعال ونستدلُّ على ذلك من قولهِ

ومالي من عارٍ أَخالُ علمتهُ سوى انَّ اخوالي اذا نُسِبوا نهدُ

اذا ما اردتُ المجد قصَّر مجدهم فاعيا عليَّ ان يناسبني المجدُ

فياليتهم لم يضربوا فيَّ ضربةً واني غيدٌ فيهم وابي عبدُ

ثعالبُ في الحرب العوان فان تبخ وتنضرج الجلَّى فانهمُ اسدُ(١)

ونستنتج من ذلك ان العرب كانوا يميزون بين القبائل فيقدمون بعضاً على بعض ويفاضلون بين احسابهم فيجل شأن الكريم النبعتين على الكريم النبعة الواحدة . وقد ذكر عروة الوجه الذي بنت عليهِ القبائل حكم المفاضلة قائلاً انهُ الشجاعة كما يستخلص ذلك من البيت الرابع .

ويؤيد قول عروة في تكريم الانساب قول عنترة العبسي المشهور

اني امرؤٌ من خير عبس منصباً شطري واحمي سائري بالمنصلِ

وكذلك ما صرَّح بهِ يزيد بن الحكم الكلابي في تفضيل الامهات حيث قال

مَسِسْنا من الآباء شيئاً وكلنا الى نَسَب في قومهِ غير واضعِ (٢)

فلما بلغنا الامهات وجدتمُ بني عمكم كانوا كرام المضاجعِ

ويتحصل من ذلك ان العرب كانوا يعترفون بصحة نسب المولود من أبٍ شريف وأُمٍّ ليست من فرع شريف وهو انصاف لم يكن بعض الامم القديمة يدركونهُ على تقدمهم في المدنية كالامة الرومانية مثلاً التي نجد البند الخامس من اللوح الثاني عشر من الالواح المسطور عليها شريعتها بنصٍ صريحاً " انهُ لا يجوز للشرفاء ان يتزوَّجوا من العوام " بل ان هذه السنة لم تزل حتى الآن عند بعض امم عصرنا المتمدن وهو امرٌ ظاهر البطلان لأَن الناس اجمعهم من اصلٍ واحدٍ فانَّى نجد بينهم تفاوتاً في النوعية الاَّ من الميزة بالآداب ومحاسن الاخلاق

فاعتراف العرب بان العقود التي تنشأُ بين مختلفين مكانةً صحيحةٌ جائزة وبأَنَّ ثمرتها نسل شرعي يرفع هذه الأُمة الى اسمى درجات الحكمة

امين ظاهر خير الله

(١) اراد بانهم ثعالب اي رواغون كناية عن الذلة و باخت الحرب خمدت وانطفأت

(٢) يقال مست بك رحم فلان اذا كان بينكما قرابة

وصيَّة سسل رودس

بعد ثلاث سنوات او اربع يصير في مدرسة اكسفرد الجامعة ٢٥٠ تلميذًا من البلدان الانكليزية والولايات الاميركية يدرسون العلوم والفنون معًا كاخوة في بيت واحد يعطى لكلٍّ منهم ثلثمئة جنيه في السنة لينفق منها على نفسهِ وعلى تعليمهِ فجملة ما يعطى لهؤلاء التلامذة خمسة وسبعون الف جنيه في السنة وهي ربع مليوني جنيه او اكثر اوصى بها سسل رودس لتعليم ابناء اللغة الانكليزية وتهذيبهم . اوصى بها الرجل الذي مضى الى جنوبي افريقية منذ ثلاثين سنة فتىً لا يكاد يملك شيئًا فخدمهُ سعدهُ حتى صار من اصحاب الملايين ورأى فائدة العلم في توسيع نطاق العمل وتعميم مدار الفوائد اذا حازهُ مَن يُولد وبهِ ميل فطري الى قيادة الناس وعمل الاعمال الكبيرة فاراد ان يسير شبَّان امتهِ في الخطة التي سار فيها واختصر لهم الطريق حتى لا يضطروا ان يسافروا من بلاد الى أُخرى سنة بعد سنة لكي يكتسبوا ما يقوم بنفقات تعليمهم كما كان يفعل هو

والاسلوب الذي اشترط ان يُعمَل بهِ في وصيتهِ يدلُّ على انهُ يعلم حق العلم ما هو الاساس الذي يبنى عليهِ عز الممالك وكيف يكون البلوغ اليهِ فقد اشترط ان لا يُقتصر في اختيار التلامذة على النابغين في الدروس منهم بل اوجب ان يكونوا حائزين للاوصاف التالية : اولاً ان يكونوا عارفين علوم الادب ثانياً ان يكونوا مولعين بالالعاب الرياضية التي تقوي الجسم كلعب الكرة ونحوهِ . ثالثًا ان يكونوا معروفين بكرم الاخلاق كالصدق والشجاعة والاستبسال في قضاء الواجب والرفق بالضعيف والعطف على المسكين . رابعًا ان يكونوا ميَّالين الى القيادة والارشاد لان مَن بدت فيهِ هذه الصفة صغيرًا سهل عليهِ الارتقاء الى المناصب العالية التي يقود فيها غيرهُ

هذه هي الاوصاف التي اشترط وجودها في التلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ اي من ريع الاموال التي اوصى بها لهذه الغاية . وقال انهُ يجب ان لا يُنظَر الى ما بينهم من الفوارق الجنسيَّة والمذهبيَّة فكل شبان الامَّة الانكليزية اهالي انكلترا واخوانهم في اميركا والمستعمرات الانكليزية وكل الذين تجنَّسوا بالجنسيَّة الانكليزية سواءٌ في اختيار التلامذة منهم

ولسسل رودس صديق حميم بين مشاهير الكتَّاب وهو المستر ستد منشئ مجلَّة المجلات الانكليزية وقد انشأ هذا الكاتب مقالة مسهبة منذ نحو ثلاث سنوات في وصف سسل رودس ومذهبهِ السياسي نشرها في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٩ ثم اعاد نشرها الآن قائلاً ان سسل رودس اطَّلع عليها ولم يعترض على شيءٍ ممَّا ذُكر فيها لا سرًّا ولا جهرًا فكأنَّهُ اقرَّ على صحتها

واعاد المستر ستد نشرها الآن وهي مسهبة مفادها ان سسل رودس ينكر صحَّة الوحي على ما جاء في التوراة ولكنهُ يعتقد بوجود الله او بامكان وجودهِ ولو كان هذا الامكان ٥٠ في المئة وبأن احوال الخلق تدلُّ على ان خالقهُ قصد بهِ ان يرتقي رويداً رويداً حتى يسود العدل والسلم والحرية وان مَن يبذل جهدهُ في اعلاء منار العدل والسلم والحرية في هذه الدنيا يكون قد سعى السعي الذي يرضاهُ الخالق ويسرُّ بهِ وان الامَّة التي تدلُّ الدلائل كلها على انها سائرة في هذا السبيل اي سبيل اعلاء منار العدل والسلم والحرية هي الامَّة الانكليزية كأَن العناية الالهية اقامتها لذلك فيجب على كل احد ان يساعدها في عملها ويسعى الى نشر رايتها في الخافقين . وان كبار الماليين من اقدر الناس على ذلك فيجب ان تؤلف عصبة منهم تنفق الاموال الطائلة في هذا السبيل فيرتقي نوع الانسان الارتقاء الذي يقتضيهِ مذهب النشوء ويكون ذلك على مقتضى مشيئة الخالق. وهاك ترجمة ما قالهُ المستر ستد عن لسان سسل رودس "اذا كان الله موجوداً وكان لعملي اقل اعتبار في عينيهِ فلا بدَّ من انهُ يريد ان اعمل ما يعملهُ هو. وحيث ان الدلائل كلها تدلُّ على انهُ يدبّر امر الامَّة التي تتكلم اللغة الانكليزية كأَنها آلة اختارها لنشر راية العدل والحرية والسلم في الدنيا فالامر واضح انهُ يريد ان ابذل جهدي في مساعدة هذه الامَّة اي ان اوسع الاملاك البريطانية في افريقية بحسب طاقتي واسعى جهدي في كل مكان الى توثيق عرى الاتحاد بين الشعوب المتكلمة باللغة الانكليزية"

والظاهر ان الذي اثَّر في نفسهِ اعظم تاثير عبارة اطَّلع عليها وهو في مدرسة اكسفرد من قول ارسطو وهي "الفضيلة اسمى ما تسعى اليهِ النفس التي تطلب الغرض الاسمى في الحياة الكاملة"

وقد شبه المستر ستد سسل رودس بلويلا منشئ الطغمة اليسوعية فقال انهُ وضع نصب عينيهِ حفظ الامَّة الانكليزية ونشر رايتها في الخافقين كما وضع لويلا نصب عينيهِ حفظ الكنيسة الكاثوليكية ونشر تعاليمها في المسكونة

وقد كتب سسل رودس الى المستر ستد في اواخر سنة ١٨٩٠ كتاباً مسهباً وطلب اليهِ ان ينقحهُ وينشرهُ فننشرهُ الآن على علاَّتهِ من غير تنقيح وهاك بعض ما جاء فيهِ

"لا تنسَ ان الآلة التي اصلُ بها الى غرضي كما ابنتهُ لك هو جمعية منشأة على اسلوب جمعية اليسوعيين من حيث نظامها . والاسلوب العملي لاجرائهِ دستور منقول عن دستور الولايات المتحدة الاميركية للاستقلال الاداري الذي اشير بهِ لكل قسم من اقسام البلدان الانكليزية حتى تتوزع ادارتها ولا تبقى محصورة في مجلس النواب لان مجلساً واحداً يعجز عن ادارة خمس المسكونة . وان مسأَلة العمل والعمَّال من المسائل المعضلة التي لا بدَّ من حلها ولكن مسأَلة

فتح الاسواق للمصنوعات اهم لنا من مسألة العمَّال لان ربح ما يستعملهُ الانكليز من مصنوعاتهم يقوم بمعيشة ستة ملايين فقط منهم فلا يتعيَّش الباقون الاَّ اذا انتشرت مصنوعاتهم في اقطار المسكونة

"وقد اتحدت الممالك كلها واميركا في مقدمتها على مقاطعتنا بضرب الضرائب على مصنوعاتنا فلا بدَّ لنا من ان نكيل لها بالكيل الذي كالت لنا الى ان ترجع عن غيها واخيرًا تنتهي هذه الحرب باتحادنا مع اميركا فيستتب السلام في العالم كلهِ وتؤَلف جمعيَّة مثل جمعية الجزويت اعضاؤُها اصحاب الملايين الكثيرة الذين غرضهم ان يعملوا شيئًا كبيرًا في الدنيا وان يخلصوا من الهمّ الذي يتعبهم دوامًا وهو اختيار من يتركون لهُ ثروتهم من اقاربهم الكسالى فيخلصون من هذه المشكلة ويستعملون ثروتهم في ما يسرُّهم ويفيد غيرهم

"هذه هي الامنيَّة التي اتمناها واخاف ان اموت قبل البلوغ اليها كما يخاف مَن اكتشف اكتشافًا ان يموت قبل تسجيلهِ. وقد سُمّيت البلاد الجديدة من الترنسفال الى جنوبي طنجنيكا باسمي لكي ابقى خالدًا بعد موتي فسرَّني ذلك لعلهُ يعرب عن امنيتي التي من شأنها ابطال الحروب كلها في مستقبل الايام ونشر لغة واحدة في كل المسكونة اذ يهتم ارباب الاموال الوافرة وارباب العقول الثاقبة بهذا الغرض

"لو امكننا ان نتحد الآن مع الولايات المتحدة لاستطعنا ان نبطل الحروب من المسكونة ويكون لنا مجلس نواب واحد يجتمع خمس سنوات في وشنطون وخمس سنوات في اميركا ولا يتم هذا الامر الاَّ بجمعية سرية تستولي على موارد الثروة كلها وتستخدمها لهذا الغرض"

والكتاب طويل جدًّا وهو على هذا النسق من بسط الاماني والآراء على صورة مشوشة كأَن ذهن كاتبهِ مملوءٌ منها فيعجز عن التعبير عنها لكن غرضهُ ظاهر منها ظهور الشمس من وراء الضباب . وقد توفي كما انبأَ من غير ان ينال ما تمنَّى ومن غير ان يرى ما يدل على قرب منالهِ . وكأَنهُ ادرك ذلك قبل وفاتهِ فاختار الاسلوب الذي اشار اليهِ في وصيتهِ لكي يعلِّم الوفا من اذكياء العقول وكبار النفوس حتى يحذوا حذوهُ ويسعوا في تحقيق امانيهِ

قال المستر ستد بعد ما نشر هذا الكتاب برمتهِ وعقَّب عليهِ ' ان مَثَل سسل رودس في وفاتهِ قبلما تحقق امنيتهُ مَثَل النبي داود اذ كان عازمًا ان يبني الهيكل فاعدَّ لهُ المواد اللازمة وترك بناءهُ لابنهِ فعسى ان يقوم بعد رودس من يحذو حذوهُ ويتم العمل الذي شرع فيهِ'

اما نحن فقد نشرنا ما نشرناهُ من ترجمة هذا الرجل وآرائهِ لا لمجرَّد العلم بها بل ليرى ابناء المشرق سرًّا من اسرار تقدُّم الاوربيين علينا وسبقهم لنا في ميدان الحضارة وهو تنافس ارباب الثروة منهم في ما يعلي شأن اممهم واوطانهم

المالية المصرية

صدر تقرير اللورد كرومر عن احوال القطر المصري في السنة الماضية وهو يُترجَم الآن ويطبع في المقطم وسنطبعهُ على حدة بقطع المقتطف لكي يسهل تجليدهُ معهُ . وادلُّ ما فيهِ على تقدم هذا القطر منذ اثنتي عشرة سنة الى الآن ازدياد ايراد الحكومة المصرية مع تجاوزها عن كثير من الضرائب حتى توفَّرت لديها الاموال وصارت تقدم على الاعمال العظيمة الكبيرة الفائدة كانشاء الخزان في اصوان واسيوط حتى تأمن البلاد طائلة الشرق والغرق ويتسع نطاق الاراضي الزراعية . وتديين الاموال للفلاحين بالربا القليل حتى ينجوا من يد المرابي الذي كان يمتص دمهم ويبتزُّ ثمرة اتعابهم

والنجاح المالي ليس كل النجاح ولكنهُ اساس لكل نجاح سواهُ في ادارة الممالك والامم فمتى وفُرت الاموال في بلاد استتبَّ الامن فيها واطمأَنت الافكار وسهل نشر العلوم والفنون وهذه الحقيقة يعرفها كبار رجال السياسة والباحثون عن دعائم العمران . فلا يستتبُّ الامن في بلاد ولا ترتقي فيها العلوم والفنون الَّا اذا وفر المال في خزينة حكومتها وبين ايادي اهلها فحينئذٍ تشبع البطون والنفوس وتستخدم فضول المال في الكماليات وفي جملتها انشاء المدارس العلمية والصناعية والزراعية . وهاك ما ذكرهُ اللورد كرومر في خاتمة كلامهِ عن الحالة المالية في هذا القطر

خلاصة الحالة المالية

ان خلاصة القول عن حالة المالية المصرية في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١ هي كما يأتي

ان الايرادات ومبلغ ٢١٦٠٠٠ جنيه مصري الذي منحهُ صندوق الدين بلغت ١٢١٦٠٠٠٠ ج . م وهذا اعظم ما بلغت اليهِ الايرادات

اما المصروفات فانها بعد بذل ٦٤٠٠٠ ج . م لاستهلاك الدين ودفع ١٤٠٨٠٠٠ ج . م للمال الاحتياطي العمومي ووفر التحويل بلغت ١١٣٩٦٠٠٠ ج . م وعليهِ كانت زيادة الايرادات على المصروفات ٧٦٧٠٠٠ ج . م

وبلغ المال الاحتياطي العمومي ٣٧٩٥٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١ من ذلك ٢٨٣٩٠٠٠ ج . م مخصصة للصرف في المستقبل وبلغ . المال الاحتياطي الخصوصي في ذلك التاريخ ١٢٨٧٠٠٠ ج . م منها ٥٦٧٠٠٠ ج . م مخصصة للصرف في المستقبل . واما قيمة الوفر الذي نتج من تحويل الدين الممتاز الى ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١

فبلغت ٤٤٨٥٠٠٠ ج . م . وبلغ الدين المصري ١٠٣٢٦٥٠٠٠ جنيهاً انكليزياً منها ٨٢٦٥٠٠٠ جنيهاً في يد صندوق الدين والباقي ٩٥٠٠٠٠٠٠ في ايادي الناس

وتقدَّر ايرادات سنة ١٩٠٢ بمبلغ ١١٠٦٠٠٠٠ ج . م والمصروفات بمبلغ ١٠٨٥٠٠٠٠ ج . م فزيادة الايرادات ٢١٠٠٠٠ ج . م والمرجح انها تكون اكثر من ذلك

وبلغ ما تحملتهُ الخزينة المصرية لينفق على حكومة السودان الملكية والعسكرية في سنة ١٩٠١ ٤١٧٠٠٠ ج . م ويقدَّر ما تتحملهُ سنة ١٩٠٢ بمبلغ ٣٩٠٠٠٠ ج . م

واحسن خصائص المالية المصرية هي (١) ان الايراد يزداد ازدياداً مستمرّاً فيها (٢) ان المصروف يزداد على نسبة هي اقل من ازدياد الايراد . وهاك جدولاً يتضمن بيان الايرادات منذ سنة ١٨٩٠ :—

السنة	ج . م	السنة	ج . م
١٨٩٠	١٠٢٣٧٠٠٠	١٨٩١	١٠٥٣٩٠٠٠
١٨٩٢	١٠٢٩٧٠٠٠	١٨٩٣	١٠٢٤٢٠٠٠
١٨٩٤	١٠١٦١٠٠٠	١٨٩٥	١٠٤٣١٠٠٠
١٨٩٦	١٠٦٩٤٠٠٠	١٨٩٧	١١٠٩٣٠٠٠
١٨٩٨	١١١٣٢٠٠٠	١٨٩٩	١١٢٠٠٠٠٠
١٩٠٠	١١٤٤٧٠٠٠	١٩٠١	١١٩٤٤٠٠٠

وخففت الضرائب في اثناء هذه الاثنتي عشرة سنة مبلغ ١٤٠٨٠٠٠ ج . م في السنة . وخفض رسم الملح ٤٠ في المئة ورسم البوستة ٥٠ في المئة وكذلك رسم التلغراف وخفضت اجور السكة الحديد كثيراً ولم تزد الرسوم على شيء الأعلى الدخان فقد كان رسم الكيلو منهُ ١٤ غرشاً صاغاً فصار ٢٠ غرشاً صاغاً

ومع ذلك كلهِ زاد الايراد ونما حتى بلغت زيادتهُ في آخر تلك السنين الاثنتي عشرة ١٧٠٧٠٠٠ ج . م عما كان عليه في اولها . وهذا يقوي الآمال بدوام النجاح في الاستقبال

اما المصروفات فكانت في الاثنتي عشرة سنة المذكورة كما يأتي

السنة	ج . م	السنة	ج . م
١٨٩٠	٩٥٩٠٠٠٠	١٨٩١	٩٦٠٧٠٠٠
١٨٩٢	٩٥٥٢٠٠٠	١٨٩٣	٩٥٥٥٠٠٠
١٨٩٤	٩٤٧٠٠٠٠	١٨٩٥	٩٤٢١٠٠٠
١٨٩٦	٩٦٠٥٠٠٠	١٨٩٧	٩٧٠٩٠٠٠
١٨٩٨	٩٨٠٠٠٠٠	١٨٩٩	٩٩٢٩٠٠٠
١٩٠٠	٩٨٩٥٠٠٠	١٩٠١	٩٩٢٤٠٠٠ (١)

ومن هذا يظهر ان المصروفات التي كانت في السنة الاولى من هذه الاثنتي عشرة سنة ٩٥٩٠٠٠٠ ج . م زادت الى ٩٩٢٤٠٠٠ ج . م في السنة الاخيرة منها فكانت زيادة المصروفات اذاً ٣٣٤٠٠٠ ج . م فقط . وهذه الزيادة اقل من زيادة مصروفات السكة الحديد التي لا بدَّ من ازديادها طبعاً بازدياد ايرادات تلك المصلحة ففي سنة ١٨٩٠ كانت مصروفات السكة الحديد ٦١٠٠٠٠ ج . م وبلغت ١٠٥٧٠٠٠ ج . م في سنة ١٩٠١ فزادت في آخر الاثنتي عشرة سنة ٤٤٧٠٠٠ ج . م وهذا يزيد ١١٣٠٠٠ ج . م عن زيادة مصروفات المصالح كلها كما ذكرنا آنفاً

وقد جرى من التحسين والاصلاح في كل ديوان ومصلحة من دواوين الحكومة ومصالحها ما اقتضى مصروفات عظيمة في أثناء تلك المدة . ثم اقتضى اخيراً ان تتحمل الخزينة المصرية عبئاً ثقيلاً هو مصروفات السودان . ومع هذا تيسر بحسن التدبير انقاص المصروفات بالاقتصاد في جهة بقدر ما تزيد في الاخرى . غير ان حب الاقتصاد في المصروف لم يقلل شيئاً من كفاءة المصالح التي جرى الاقتصاد فيها لادارة الاعمال والاشغال المنوطة بها بل اني أقول انها زادت كفاءة لذلك بسهر نظارة المالية وعدم تساهلها في زيادة المصروفات بالاسراف والتبذير

(١) يخرج من هذا ٦٤٠٠٠ ج . م المدفوع لاستهلاك الدين و ١١٤٣٠٠ ج . م للمال الاحتياطي العمومي و ٢٦٥٠٠٠ ج . م لوفر التحويل

فتح المكسيك

تركنا كورتس في الجزء الماضي وهو يستعدُّ للزحف على عاصمة المكسيك فلما اتمَّ استعدادهُ زحف برجالهِ وهم اربع مئة من المشاة وخمسة عشر من الفرسان واخذ معهُ سبعة مدافع واعطاهُ امير سمبوالا ١٣٠٠ محارب و ١٠٠٠ حمَّال واخذ اربعين من رؤساء البلاد لكي يرشدوهُ في الطريق ويشيروا على اهالي البلاد بمسالمتهِ. وترك في مدينة فرا كروس رجلاً يعتمد عليهِ من خواصهِ مع حامية من الاسبانيين . وخطب في رجالهِ قبل ان شرعوا في الزحف خطبة بليغة شبههم فيها بالرومانيين القدماء الذين دوَّخوا المسكونة وعمَّروها حتى اذا اتم خطبتهُ صرخوا قائلين لك علينا الطاعة التامة وسنبقى معك في السرَّاء والضرَّاء ولما قالوا ذلك ودَّع امير سمبوالا ورجالهُ وسار وكان ذلك في السادس عشر من اغسطس سنة ١٥١٩

مضى اليوم الاول وهم في ارض الفانلاَّ والكاكو والقرمز ارض الطيوب والافاوية ارض الاثمار والازهار والصيد والقنص حيث ارج النسيم يعطر الارجاء وتزاويق الطيور توشي الفضاء . وبلغوا مدينة زَكَلبا في اليوم التالي ومنها العقار الذي سُمّي باسمها (جَلَبا) فاطلُّوا على بلاد واسعة المدى كثيرة الدساكر والقرى تكتنفها الرياض والغياض وتتخللها الانهار والغدران

وفي اليوم الرابع وصلوا الى مدينة حصينة مبنية على صخر شاهق فاضافهم اهلها ورحَّبوا بهم وقاموا في اليوم التالي وساروا في وادٍ ضيق وعصفت عليهم رياح باردة من الجبال المجاورة معها مطر وثلج فكاد البرد يهرأهم لكن ثيابهم المحشوَّة بالقطن وقتهم منهُ واما الهنود الذين معهم فمات كثيرون منهم من شدَّة البرد وبعد ثلاثة ايام انفسحت امامهم البلاد واعتدل الهواء وكانوا قد علوا سبعة آلاف قدم عن سطح البحر فرأوا حقولاً كثيرة الزرع يحيط بها الصبر وتكثر فيها الذرة ووصلوا بغتةً الى مدينة كبيرة اكبر من سمبوالا واكثر منها سكاناً فيها ثلاثة عشر هيكلاً كبيراً ولما رأى كورتس اميرها سألهُ هل انت من الخاضعين لمنتزوما فاجابهُ متعجباً ومَن في الدنيا ليس خاضعاً لهُ . فقال كورتس انا لست من الخاضعين لهُ ثم بيَّن لهُ الغرض الذي جاء لاجلهِ وقال اني خاضع لملك يخضع لهُ ملوك كثيرة كلٌّ منهم مثل منتزوما . فجعل هذا الامير يطنب في عظمة مولاهُ وقال انهُ يخضع لهُ ثلاثون اميراً عند كل منهم مئة الف مقاتل يؤدون اليهِ الجزية وجنودهُ كثيرة تاسر اكثر من عشرين الف اسير كل سنة ليقدّموا ذبائح لمعبوداتهِ . وعاصمتهُ في بحيرة في وسط وادٍ كبير والبحيرة مملوءة بسفنهِ ويوصل اليها على جسر طولهُ عدة اميال بعضهُ من الخشب يرفع فلا يعود الوصول اليها ممكناً

وطلب منهُ كورتس ان يعطيهُ شيئًا من الذهب الذي عندهُ ليرسلهُ الى ملك اسبانيا هدية فقال اني لاستطيع ما لم يأْمرني منتزوما فان امرني فانا وما املك بين يديك

وعجب الاهالي من خيل الاسبانيين وكلابهم وملابسهم وجعلت مريانا تطنب في بسالتهم ومهارتهم وما نالهم من الاكرام من منتزوما نفسهِ فاثَّر ذلك فيهم واهدى اميرهم الى كورتس بعض الحلى والجواري واراد كورتس ان يقنعهُ ليقلع عن عبادتهِ الوثنية ويعتنق الديانة المسيحية فلم يرَ منهُ اذنًا صاغية واراد ان يأْمر رجالهُ لكي يفعلوا هنا ما فعلوا في سمبوالا ولو حاول ذلك لاوقع بهم الاهالي لكن القس الذي معهُ ادرك بفطنتهِ ما تؤُول اليهِ هذه الغيرة فنهاهُ عن ان يفعل في هذه المدينة ما فعلهُ في سمبوالا قائلاً ان نحن نصبنا الصليب هنا من غير ان نُعلِّم الاهالي عرَّضناهُ للاهانة فنجّى قومهُ من الهلكة

وهنا التبس الامر على كورتس لان اهل المدينة اشاروا عليهِ ان يسير في طريق شلولا قائلين ان سكانها اهل دعة ومسالمة . وكان اهل سمبوالا قد اشاروا عليهِ ان لا يسير في بلاد شلولا لان اهاليها خوَنة خدَّاعون بل في طريق تلسكالا الجمهورية المستقلة لان اهاليها كرام الاخلاق يترفَّعون عن الخيانة كما انهم ابطال بواسل . واخيرًا اختار طريق تلسكالا وارسل الى اهاليها وفدًا من اهالي سمبوالا يستميحهم المرور في بلادهم وبعث مع الوفد هدية قلنسوة من الجوخ الاحمر وسيفًا وقوسًا وكتب اليهم يخبرهم انهُ معجب ببسالتهم وبمقاومتهم لملك المكسيك الذي جاء لاذلالهِ وكان يعلم ان الاهالي يعجزون عن قراءة هذه الرسالة ولكنهُ اراد ان يظهر لهم انهُ بالغ من العمران شأْوًا ابعد من شأْوهم واخبر الوفد بمعنى الرسالة حتى لا تفوت فائدتها

وبقي في المكان الذي كان فيهِ ثلاثة ايام بعد ذهاب الوفد ثم سار برجالهِ وراءهُ وهم في انتظام كانهم سائرون الى القتال وهذا كان دأْبهم دائمًا في الحل والترحال . ولم يجدُّوا السير لانهم كانوا ينتظرون عود الوفد قبل الدخول في بلاد تلسكالا وبينما هم سائرون على هذا النمط وصلوا الى سور منيع ارتفاعهُ عشر اقدام وعرضهُ عشرون قدمًا ولهُ مترسة يقف وراءها المقاتلون وليس لهُ الاَّ باب واحد في وسطهِ يدور فيهِ الداخل بين سورين كنصفي دائرة احدهما معطوف علي الآخر والطريق بينهما عشر خطوات لا غير والسائر فيهِ يكون تحت رحمة الذين على السور وطول السور اكثر من ستة اميال ويتصل من طرفيهِ بجبلين شاهقين لا يمكن الارتقاء اليهما وحجارتهُ كبيرة ضخمة محكمة البناء وهو الحد الفاصل بين بلاد تلسكالا وبلاد المكسيك فلما وصلوا اليهِ وقفوا مبهوتين وقالوا في نفوسهم ان وراء السور امَّة قوية مثلهُ الاَّ ان الباب كان مفتوحًا ولم يكن هناك احد من الحامية فعبروهُ آمنين ووطئوا ارض الجمهورية

واهالي تلسكالا من قبائل الازتك نزلوا البلاد في اواخر القرن الثاني عشر وجعلوا مقرَّهم على السواحل الغربيَّة من بحيرة تزكوكو واشتدَّت الخصومات بينهم وبين القبائل النازلة حولهم ونشبت الحروب فكان الفوز فيها لهم لكنهم ملُّوا الاقامة في بلاد لم يروا فيها الاَّ نيران الحرب فرحلوا منها وداروا حول مدينة شلولا ونزلوا في سفح جبال تلسكالا وهم اهل فلاحة وزراعة وحرب وجلاد وهناك اودية خصيبة ومعاقل حصينة فطابت لهم الاقامة فيها فزرعوا الارض وعمَّروا المدن وشيَّدوا الحصون . وانقسموا بعد حين الى اربعة اقسام لكل قسم امير خاص لكنهم بقوا متحالفين في السلم والحرب واقاموا لهم مجلس شورى موَّلفاً من امرائهم الاربعة والروَساء الذين تحتهم وظلوا على ذلك الى حين دخل الاسبانيون بلادهم

وكان لهم غرام بالالعاب الرياضيَّة والفعال الحربية فكانوا يجيزون رجال الباس الجوائز الحسان ويسيرون بابطالهم في مواكب عظيمة وينشدون الاناشيد في مدحهم وينصبون لهم الانصاب والتماثيل كانهم اهل رومية القدماء . وكذلك كان اكرامهم لمن نفع بلادهُ برأْي حكيم او بتجارة رابحة

وكانت بلادهم كثيرة الخصب كما تقدَّم واسمها يدلُّ عليها لان معنى تلسكالا في لغتهم بلاد الخبز وكانوا يتجرون بخيراتها مع البلدان المجاورة واتقنوا الصنائع المعروفة عندهم كالحياكة والصياغة والبناء وعمل الاسلحة

ولما عظم شأْن الازتك ودانت لهم البلاد المجاورة كبُر عليهم ان تبقى جمهورية تلسكالا مستقلة عنهم غير خاضعة لهم فطلبوا من اهاليها دفع الجزية اسوةً بغيرهم من الامم المجاورة فقالوا اننا لم ندفع جزية لاحد لا نحن ولا اسلافنا ولن ندفعها ابد الدهر وسنحتفظ باستقلالنا الذي ورثناهُ من آبائنا كما احتفظوا هم بهِ . فغزاهم ملك المكسيك واستعرت نيران الحرب فكان الفوز لهم ومن ثم رسخت العداوة بين هاتين الامتين وكثرت الحروب وصار التلسكاليون يربُّون اطفالهم من المهد على بغض المكسيكيين ومقاطعتهم وكانت بلادهم حصينة من كل جهة الاَّ من الجهة الشرقية حيث كان يوصل اليها من وادٍ كبير اتساعهُ ستة اميال فبنوا فيهِ السور المشار اليهِ آنفاً . وانضمَّ اليهم شعب آخر كان معادياً لاهالي المكسيك اسمهُ الاتومي فاقاموا منهُ الحامية على ذلك السور

ولما رقي منتزوما الى عرش الملك ودانت لهُ الامم وعاد رجالهُ بالاسرى والغنائم من كل بلاد وطئتها اقدامهم حدثتهُ نفسهُ ان يضرب جمهورية تلسكالا الضربة القاضية فبعث عليها جيشاً ضخماً امَّر عليهِ ابنهُ فالتقوا بهِ وقتلوهُ واثخنوا في جيشهِ ولما بلغ منتزوما ذلك ارغى وازبد

وامر بتعبئة الجيوش من كل الاقاليم وسار بهم على بلاد تلسكالا فانهال عليها كالسيل العرم واضطرّ التلسكاليون ان يعتصموا في جبالهم ومعاقلهم ومرّت السنون وهم مفصولون عن الساحل وعن كل البلاد المجاورة لهم لا يصل اليهم شيءٌ من الملح والكاكاو حتى فسدت اذواقهم ولم يعودوا يدخلون الملح في طعامهم وهذا كان شانهم حينما دخل الاسبانيون بلادهم

ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك لم يوجس التلسكاليون شرًّا ولكن لما بعث اليهم كورتس يطلب منهم ان يسمحوا لهُ بالمرور في بلادهم استغربوا طلبهُ وجمعوا مجاس شوراهم واخذوا ينظرون في هذا الطلب فقال بعضهم ان الاسبانيين هم القوم الموعودون الذين يُنتَظر مجيئهم حسبما تشير اليهِ التقاليد القديمة وسواءٌ كانوا كذلك او لم يكونوا فهم اعداءٌ للمكسيكيين وعدو عدونا صديقنا . وقال البعض الآخر ان هؤلاء الغرباء لا يمكن ان يكونوا اصدقاء لنا لان دينهم مخالف لديننا وحيثما مرُّوا كسَّروا الاصنام وخرَّبوا الهياكل ولا دليل على انهم معادون لمنتزوما بل هم مصادقون لهُ على ما يظهر لانهم رحَّبوا برسلهِ وقبلوا هديتهُ وارسلوا اليهِ هدية بدلاً منها

والقول الاخير كان قول امير كبير السن واسع الخبرة من الامراء الاربعة الذين لهم الرئاسة العامة ويقال انهُ كان قد ناهز المئة ولهُ ابن كان قائدًا على جيش كبير من التلسكاليين والاتومي وكان مرابطاً قرب التخوم الشرقية فاشار ابوهُ ان يهاجم الاسبانيين بجيشهِ فان فاز عليهم انتهى الاشكال وان فازوا عليهِ قال مجلس الامَّة ان القائد فعل ما فعل من تلقاء نفسهِ والامَّة غير مطالَبة بفعلهِ . فرضي باقي الامراء بهذا الرأي واشاروا بابقاء الوفد عندهم بحجة مساعدتهِ لهم في اقامة بعض الشعائر الدينية

وفي غضون ذلك وصل الاسبانيون الى السور فلم يجدوا الحامية عندهُ كما تقدَّم فدخلوا بابهُ واوغلوا في البلاد وكورتس في مقدمتهم مع شرذمة من رجالهِ ولم يوغل طويلاً حتى لقيهُ جماعة من التلسكاليين وهم مسلحون بالسيوف والتروس فلما رأوهُ هربوا من وجههِ فناداهم فلم يقفوا لجدّ وراءهم فزادوا عدوًا لكنهم لم يكونوا اسرع من الخيل فادركهم حالاً ولما رأَوا منهُ ذلك داروا اليهِ واستلُّوا سيوفهم واخذوا يدافعون عن انفسهم ببسالة ومهارة ولم يكن الاَّ قليل حتى اقبل الوف من التلسكاليين وهم منوّ قون السهام وشاهرون السيوف ورآهم كورتس مقبلين فامر واحدًا من فرسانهِ ان يعود حالاً ويستحث بقية جنودهِ وشاغل التلسكاليين وهم يهجمون عليهِ هجمات صادقات ويحاولون نزع الرماح من ايدي رجالهِ وانزال الفرسان عن خيولهم فانزلوا فارسًا واثخنوهُ بالجراح حتى مات وقتلوا فرسين فكبر ذلك على كورتس لان الخيل عضدهُ الاكبر

وكان معتمداً على خوف الاسبانيين منها وتوهمهم انها مما لا يمكن مقابلتهُ والتغلُّب عليهِ فاذا علموا ان التلسكاليين قتلوا اثنين منها زالت رهبتها من نفوسهم . واقبل بقية رجال كورتس وانصارهُ حالاً واشتبك القتال وفعلت بنادقهم ومدافعهم فعلاً ذريعاً بالتلسكاليين فذعروا من صوت البارود وخارت عزائمهم لما رأوا القنابل تحصد رجالهم حصداً وتمزقهم ارباً فجمعوا صفوفهم وارتدوا بنظام حربي وسرَّ الاسبانيون بذلك فلم يسيروا وراءهم بل لمُّوا شعثهم وساروا في طريقهم وبعد قليل التقوا برسولين من قبَل الجمهورية ومعهما اثنان من الوفد الذي اوفدهُ كورتس اولاً ودنا الرسولان من كورتس وقالا ان ما حدث من هجوم الجنود على رجالهِ لم يكن برأي رجال الحكومة وانهم آسفون على ما جرى وسيقابلونهُ بالترحاب في عاصمتهم . فتظاهر بانهُ صدَّق قولهم وسار معهم الى ان بلغ نهراً يجري في وسط مرج نضر فنزل في المرج وانتشر رجالهُ في المزارع المجاورة يفتشون عن الطعام فوجدوا نوعاً من التين فجمعوهُ وحيوانات اليفة كالكلب فقبضوا عليها وذبحوها واكلوها

وكان الاهالي الذين ساروا مع كورتس لنجدتهِ قد بلغوا ثلاثة آلاف نفس فقام في الصباح واستانف السير بعد ان امر رجالهُ ان لا ينفصل احد منهم عن رفاقهِ وان لا يتخلوا عن رماحهم بوجه من الوجوه. ولم يسيروا طويلاً حتى عاد الرسولان الآخران من الوفد الاول وقالا انهما فرَّا فراراً لانهما رأيا التلسكاليين عازمين على الفتك بهما وان جنودهم تجتمع الآن بسرعة لكي تمنع مرور الاسبانيين في البلاد . وبعد قليل التقوا بنحو الف من التلسكاليين وهم بالسلاح الكامل فامر كورتس الترجمان ان يقول لهم انهُ مسالم لهم لم ياتِ لمحاربتهم بل للمرور في بلادهم فاجابوهُ برمي السهام والمزاريق فاغتاظ الاسبانيون من ذلك والمهم وقع السهام فهجموا عليهم ونشب القتال بين الفريقين وثبت التلسكاليون في مواقفهم مدة ثم ارتدوا بنظام حربي والاسبانيون وراءهم الى ان بلغوا مضيقاً من الارض كثير الحزون لا يمكن جر المدافع فيهِ فاسرعوا لكي يخلصوا منهُ واذا جانبا المضيق يموجان بجنود التلسكاليين وقدَّر كورتس ان عددهم لا يقل عن مئة الف مقاتل لكن غيرهُ قدَّر عددهم ثلاثين الفاً . ولما وقعت عينهم على الاسبانيين صرخوا صراخ الحرب وطبَّلوا بالطبول وهجموا عليهم كالسيل الجارف . فانضمَّ فرسان الاسبانيين بعضهم الى بعض حتى صاروا كالبناء المرصوص وصرخ فيهم كورتس يحمسهم ويشدد عزائمهم فاندفعوا على التلسكاليين بضرب صادق وطعن خارق والتلسكاليون لا يتوخون قتل الاسبانيين بل اخذهم اسرى ليقربوهم ضحايا الى معبوداتهم ولولا ذلك ما ابقوا على احد منهم فانزلوا فارساً عن فرسهِ وقطعوا الفرس ارباً وحالوا اخذ الفارس حياً فحاول

Orientalisches
Institut
Se

البطريرك بطرس الجريجيري

مستعارة من ادارة جريدة الاخلاص

عشرة من رفاقهِ تخليصهُ من يدهم وفازوا بذلك بعد ان اثخنتهم الجراح وهو نفسهُ كان قد جرح جراحاً بالغة فمات منها في اليوم التالي وقطع التلسكاليون حصانهُ ارباً كما تقدَّم وارسلوا قطعهُ الى تلسكالا . وفعل الاهالي الذين كانوا مع كورتس فعال الابطال لانهم قالوا اننا مقتولون على كل حال اذا كان الفوز للتلسكاليين. وظل الاسبانيون يقتحمون غمرات الردى الى ان خرجوا من المضيق فانفسح لهم ولبنادقهم ومدافعهم المجال . ولما سمع التلسكاليون صوت المدافع والبنادق ورأَوا الدخان يخرج من افواهها والموت الاحمر يقذف منها ارتاعوا وتشوش نظامهم وزادهم تشويشاً اضطرارهم الى حملِ كل قتيل وجريح من رجالهم على ما تقتضيهِ شرائع بلادهم . وقُتل ثمانية من كبار قوادهم ولما رأى ذلك قائدهم الاعظم وهو ابن الرئيس الشيخ الذي تقدمت الاشارة اليهِ امر رجالهُ بالرجوع القهقرى فرجعوا رويدًا رويدًا حسب نظامهم الحربي واكتفى كورتس بذلك فلم يجدَّ في اثرهم بل جمع جرحاهُ وسار بهم الهوينا الى ان بلغ اكمة تشرف على ما حولها فنزل فيها . وقد قام في نفسهِ ان التلسكاليين ابطال بواسل لا يصطلى لهم بنار ولا بدَّ لهُ من محالفتهم لانهم يكونون اكبر عضد لهُ في فتح بلاد المكسيك وتقويض دعائم ملكها

البطريرك بطرس الجريجيري

اذا ذُكر رجال المشرق الذين ارتقوا بجدهم حتى بلغوا اعلى منصب بين اقرانهم ووصلوا اليهِ بالانتخاب لا بالصنيعة وافادوا ابناء وطنهم قبل وصولهم اليهِ وبعدهُ فغبطة البطريرك بطرس الجريجيري في مقدمتهم ؛ وقد عرفناهُ قساً ومطراناً وبطريركاً ولنا معهُ احاديث مستفيضة لم يخرج فيها عن مصلحة طائفتهِ كأَن لا غرض لهُ من الحياة سواها

ولد في مدينة زحلة بجبل لبنان سنة ١٨٤١ ودرس فيها وفي مدرسة اليسوعيين في غزير ورسم قساً سنة ١٨٦٢ وجُعل مدرّساً في المدرسة البطريركية في بيروت سنة ١٨٦٦ ثم أُسندت ادارتها اليهِ سنة ١٨٦٩ فعكف على درس العربية والفرنسوية وزادت رغبتهُ في تلقي العلوم فقصد مدينة بلوى من اعمال فرنسا سنة ١٨٧٤ ودخل مدرستها الكهنوتية الكبرى ودرس فيها الفلسفة واللاهوت ومبادئ اللغة اليونانية واللاتينية واتقن درس الفرنسوية حتى صار يستطيع القاء الخطب فيها فطاف في انحاء فرنسا وكان يعلم ان الحاجة ماسَّة في بلادهِ الى المدارس والى ما يقوم بنفقاتها فاقنع المحسنين بكلامهِ وخطبهِ حتى مدُّوا اليهِ يد المساعدة فعاد الى سورية سنة ١٨٧٨ وجعل ينشئ المدارس فيها فانشأَ ٤٢ مدرسة للصبيان والبنات كان فيها ٥٦

من المعلمين والمعلمات وثلاثة آلاف من التلامذة والتلميذات وانشأ ايضاً جمعيتين خيريتين لمؤاساة الفقراء وجمعية علمية ادبية لتهذيب الشبان وتعليمهم فن الخطابة

وسنة ١٨٨٦ سيم مطراناً على بانياس ولم يكن في تلك الابرشية حينئذٍ سوى ١٥٠٠ نفس من الروم الكاثوليك فانشأ فيها ثلاثاً وعشرين مدرسة ورمم الكنائس القديمة فاجمع الاهلون على حبهِ واكرامهِ من ابناء طائفتهِ ومن غيرها وقد سمعنا قسوس الروم والبروتستانت يعجبون بهمتهِ ويثنون على تقواهُ

وزار اوربا سنة ١٨٨٧ وقابل قداسة البابا مراراً ومرَّ على تونس والجزائر بدعوة من الكردينال لافيجري ثم عاد الى ابرشيتهِ وبنى في جديدة مرجعون كنيسة كبيرة على نفقة قداسة البابا وبنى بجانبها داراً للاسقفية وانشأ مدرسة زراعيَّة للايتام واشترى لها ارضاً فسيحة غرس فيها انواعاً كثيرة من الاشجار جلبها من فرنسا وغيرها فاثمرت اثماراً نادرة المثال يباع منها للاهالي وينفق ثمنها في سبيل البر وتعليم الايتام والفقراء

ثم عاد الى اوربا سنة ١٨٩٣ ووصل الى انكلترا بدعوة من الكردينال فون الانكليزي وقد سمعناهُ بعد ذلك يثني على هذا الكردينال ويدافع عنهُ دفاع الاصدقاء لمَّا وقع الخلاف بين الكردينال وبين الاستاذ سنت جورج ميفارت على ما ابنا في الصفحة ٣٧٨ من المجلد الرابع والعشرين من المقتطف لكنهُ لم يكن متطرفاً في دفاعهِ ولا كان متساهلاً للذين ينتقدون معتقدات لا يعلمون اسانيدها

وكان كلما رحل رحلةً الى اوربا يعود منها بهمة جديدة وخيرات وفيرة لنفع ابناء وطنهِ فيبني المدارس والكنائس وهو يرمي الى غرض نبيل كاشفنا بهِ وهو مطران ثم جاهر بهِ مراراً بعد ارتقائهِ الى كرسي البطريركيَّة وهو ان يعيد الاتحاد بين الروم الشرقيين والغربيين

ولما توفي البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٩٧ وقع الاختيار على صاحب الترجمة بطريركاً خلفاً عنهُ بعد مجادلات طويلة وكان ذلك في ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٨ وشمل السرور ابناء طائفتهِ وجميع الذين يعرفونهُ . وزار رومية في العام التالي فاستقبلهُ قداسة البابا واقفاً وعانقهُ واجلسهُ على كرسي امامهُ واكرم وفادتهُ واهدى اليهِ حين وداعهِ سلسلة من الذهب وعصاً رعائية مرصعة بالحجارة الكريمة تذكاراً لزيارتهِ . وقدم من ايطاليا الى القطر المصري واقام فيهِ مدةً فرحَّب بهِ ابناء طائفتهِ وغير طائفتهِ واظهروا لهُ من الاكرام ما يفوق الوصف لكثرة ما بلغهم عن فضلهِ وتفانيهِ في مصلحة ابناء وطنهِ

ثم زار الاستانة العلية فوصلها في ٧ مايو سنة ١٨٩٩ ومثل بين يدي الحضرة السلطانية

في ١٩ مايو وخطب خطبة انيقة تليق بالمقام فاجابتهُ الحضرة السلطانية بما ترجمتهُ "اني مسرور من ارتقائك الى هذا المنصب العالي عن استحقاق لاني اتوسم فيك الصلاح والصحة والمقدرة على العمل فاتأمل انك تقوم احسن قيام بالوظيفة الموكولة اليك عن اهلية واستحقاق"

وزار باريس سنة ١٩٠٠ والتقينا بغبطتهِ هناك وكأن الحكومة الفرنسوية كانت عازمة ان تمنع مساعدتها المالية من الطائفة الكاثوليكية وهو يسعى في اقناعها بالعدول عن ذلك. وكان يودُّ التقرُّب من رجال انكلترا خدمةً لابناء طائفتهِ في هذا القطر ولو فسح الله لهُ في الاجل ولو كانت الاحوال في بلاد الشام على ما يرام لجنت هذه الديار من ثمار اتعابهِ اضعاف ما جنت

ومنذ بضعة اشهر تواترت الانباء البرقية انهُ مصاب بداء عضال انتهى بوفاتهِ فتوفي الى رحمة ربهِ في الرابع والعشرين من شهر ابريل

وكان طويل القامة مهيب الطلعة وقور المجالس اذا همَّهُ موضوع زاد تهيُّج القوة العصبية في دماغهِ فاوقع في نطقهِ شيئاً من التلجلج والاَّ فكلامهُ فصيح وعبارتهُ بليغة. وسيبقى مذكوراً بما انشأهُ من المدارس والكنائس وبسعيهِ المتواصل في خير ابناء طائفتهِ

باب الصناعة

تلوين النحاس الاصفر

يصقل النحاس الاصفر اولاً ثم يوضع في مزيج من الامزجة التالية فيصير لهُ اللون الخاص بهِ كما ترى

(١) اذب ١٢٠ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠ قمحة من هيبوكلورات الامونيا في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيتلوَّن بلون ضارب الى الخضرة

(٢) اذب ١٢٠ قمحة من كلورات البوتاسا و ١٥٠ قمحة من كبريتات النحاس في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيصير لونهُ من البرتقالي الى القرفلي

(٣) اذب ٤٣٥ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠٠ قمحة من كبريتيد الصودا و ١٥٠ قمحة من زبدة الطرطير في رطل ماء وغطس النحاس الاصفر فيهِ فيضرب لونهُ اولاً الى الحمرة ثم الى البنفسجية فالزرقة

(٤) او اضف الى المذوب الاخير ٣٠٠ قمحة من مذوب كبريتات الحديد النشادري و ٣٠٠ قمحة من هيبوسلفيت الصودا فيصير لون النحاس برتقالياً ثم احمر ثم ازرق حسب طول اقامتهِ . وهذا السائل يلوّن الفضَّة الواناً جميلة ايضاً

(٥) اذب ٧٥ قمحة من كلورات البوتاساً و ٣٠ قمحة من كربونات النكل و ٧٥ قمحة من ملح النكل في عشرة اواقي من الماء وضع النحاس في المذوب واغلهِ على النار فيسمرُّ لونهُ اولاً ثم يصير احمر نارياً

(٦) اذب ٧٥ قمحة من كلورات البوتاسا و ١٥٠ قمحة من ملح النكل في عشر اواقي من الماء فيصير لون النحاس اسمر جميلاً

(٧) اذب ٧٥ قمحة من كبريتات الزرنيخ الاصفر و ١٥٠ قمحة من ملح النشادر المتبلور في عشر اواقي من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيحمر اولاً ثم يزرقُّ ثم يبيضُّ

(٨) اذب ٧٥ قمحة من زبدة الطرطير و ٧٥ قمحة من كبريتات النحاس في ١٠ اواقي من الماء وضع النحاس الاصفر في المذوب ثم اضف اليهِ ٢٢٥ قمحة من هيبوسلفيت الصودا مذابة في ٥ اواقي من الماء فينفصل الكبريت من المذوب ويصير سطح النحاس متموجاً كعنق الحمام

الصفيح المبلور

شاع منذ بضع عشرة سنة نوع من الصفيح ملوَّن بالوان مختلفة احمر او اخضر او اصفر او ازرق تحتها اشكال هندسيَّة كأنها سطوح البلوارات وهذا الصفيح كثير الاستعمال لتغطية الصناديق . وللاوربيين والاميركيين اساليب مختلفة في عملهِ منها

(١) تنظف الواح الصفيح الجيد بالحامض النيتريك المخفف او الحامض النيترومورياتيك المخفف ثم تغسل بالماء وبعد ذلك تغطَّس في ماء الذهب (مزيج من الحامض النيتريك والحامض الهيدروكلوريك) مخففاً بثلاثة امثالهِ من الماء ومسخَّناً الى الدرجة ١٨٠ بميزان فارنهيت وتنزع منهُ وتترك برهة وجيزة في الهواء ويصبُّ عليها ماء كثير . ويكرَّر هذا العمل اذا اقتضت الحال حتى يظهر التبلور على الالواح جلياً وتغسل بعد ذلك بماء سخن وتترك في الهواء حتى تجف وتدهن بعد ذلك بفرنيش اللاك الملوَّن بلون من الالوان اذا اريد تلوينها . وتزيد البلورات ظهوراً باستعمال مذوب التنين سخناً او مذوَّب الصودا الكاوي

(٢) سخّن الالواح قليلاً وغطسها في الحامض النيترومورياتيك المخفف الجرم منهُ بجرمين من الماء واتركها فيهِ حتى تظهر البلورات الكبيرة عليها وانزعها منهُ حالاً وغطسها في كمية كبيرة

من الماء البارد ثم في ماءٍ غالٍ ومتى خرجت منهُ تنشف حالاً وحينئذٍ تدهن بفرنيش اللك

(٣) حينما تلبس الواح الحديد بالقصدير تخرج حالاً من مغطس القصدير والقصدير سائل عليها وتعرّض لمجارٍ شديدة من الهواء البارد بضع دقائق فيتبلور القصدير ثم تدهن بفرنيش اللك او الكوبال

(٤) سخن الواح الصفيح وضعها فوق اناء كبير فيهِ ماء بارد وادهنها باسفنجة مبلولة بسائل مؤلف من اربعة اجزاء من الحامض الكبريتيك وجزئين من الماء المقطر وفيهِ جزء من ملح الطعام او ملح النشادر وحينما تظهر البلورات عليها تغطَّس في الماء وتغسل بالريش او بالقطن ويحترس لئلاَّ تنزع البلوات عنها . ثم تجفف على نار خفيفة وتدهن بمذوب اللاك . واذا لم يغطَّس اللوح كلهُ في الماء بل رُشَّ الماء عليهِ رشاً تنوَّعت البلورات عليهِ ويحدث مثل ذلك اذا نُفخ عليهِ الهواء البارد بالانابيب

(٥) امزج اربع اواقي من الحامض الكبريتيك باوقيتين او ثلاث من الماء واوقية وربع من الملح وسخن لوح الصفيح وادهنهُ بالمزيج واغسلهُ جيداً بماء نقي وجففهُ وادهنهُ بفرنيش دمار

(٦) افضل الطرق لعمل هذه الالواح ان يصنع مغطس القصدير من ٢٠٠ جزء من القصدير النقي و ٣ اجزاء من النحاس الاحمر وجزء من الزرنيخ ومتى لبس اللوح قصديرًا يعالج بالطرق التالية اولاً يغطَّس في مذوَّب البوتاسا الكاوي ويغسل . ثانيًا يغطَّس في ماءالذهب (الحامض النيتروهيدروكلوريك) المخفف ويغسل . ثالثًا يغطَّس في مذوَّب البوتاسا الكاوي ويغسل . رابعًا يجاز في الحامض النيتريك بسرعة ويغسل . خامساً يجاز في مذوب البوتاسا الكاوي ويغسل سادساً يغطس في ماءالذهب و يغسل سابعًا يغطس في مذوب البوتاساالكاوي ويغسل بماء سخن ثم يدهن بفرنيش الكوبال المذاب في السبيرتو

مطبعة البالوظة

انقع اوقية من الجلاتين في ماء بارد كافٍ لغمرها واتركها فيهِ الليل كلهُ الى الصباح فيمتص الجلاتين الماء وينتفخ . وحضّر حماماً من الماء والملح باذابة اوقيتين من الملح في رطل من الماء وضع ست اواقي او سبع من الغليسرين الجيد في الاناء الداخلي من الحمَّام المائي وهو مثل الاناء الذي يذاب فيهِ الغراء وسخنها في الحمام المائي الى الدرجة ٢٠٠ بميزان فارنهيت وانزع الجلاتين من الماء وضعهُ في الغليسرين وابقهِ على النار في الحمَّام المائي ساعة من الزمان وانت تحركهُ من وقت الى آخر محترساً من تولُّد فقاقيع الهواء فيهِ . ثم اضف اليهِ عشرين نقطة من زيت كبش

القرنفل لكي يوقى من الانحلال . وتكون قد صنعت اناء واسعاً من الصفيح فصب المزيج فيهِ وضعهُ افقيًّا في مكان بارد واقياً اياهُ من الغبار واتركهُ فيهِ خمس ساعات على الاقل . وحينما تريد استعمالهُ مرّ على وجههِ اسفنجة مبلولة واتركهُ حتى يجف من نفسهِ قبلما تلصق الورق المكتوب بهِ ولا بدَّ من ان يكون الحبر جافًّا علي الورق قبل الصاقهِ بالبالوظة

ومتى اكملت طبع النسخ المطلوبة واردت غسل البالوظة ممَّا بقي عليها من الحبر فامسحها باسفنجة مبلولة بالماء البارد هذا اذا اردت استعمالها حالاً واما اذا لم ترد استعمالها حالاً فلا داعي لغسلها لانها تشرب الحبر كلهُ بعد ثلاثة ايام او اربعة فلا يعود يؤَثر في ما يطبع عليها . واذا تلف وجه البالوظة من كثرة الاستعمال تسخَّن على حمَّام مائي حتى تكاد تسيل وتترك حتى تبرد فيرجع سطحها الى استوائهِ

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

جمال الوجه

جمال الوجه واعتدال القوام يكونان بالارث لا بالصناعة فهما امران طبيعيَّان لاصناعيَّان ولكن لا شبهة في ان كثيرين من الناس يعيشون عيشة تزيد جمالهم واعتدالهم وتبقيهما الى سن الشيخوخة . وكذلك من يولد ووجههُ غير جميل وقامتهُ غير معتدلة يستطيع ان يعيش عيشة تكسبهُ شيئًا من جمال الوجه واعتدال القوام فيزول ما كان بهِ من قبح المنظر

ومن المحقق ان تسعة اعشار الناس الذين يعيشون عيشة الاعتدال ويقيمون جانباً كبيرًا من الوقت في الهواءِ النقي يصير لون وجوههم جميلاً حسبما يسمح بهِ جلدهم لانهُ اذا كان الجلد سميكًا بالطبع لا يشفُّ عمَّا فيهِ من الدم فلا سبيل لاظهار اللون الدموي فيهِ . وبالضد من ذلك الناس الذين يسرفون في قواهم الحيويَّة ويقيمون جانباً كبيرًا من الوقت في اماكن مظلمة فاسدة الهواءِ فان اللون الدموي يزول من وجوههم ويبدل بلون اصفر ضارب الى الزرقة ولو كان جلدهم رقيقاً

وقد وضع بعضهم النصائح التالية حتى اذا جرى الانسان عليها حُفظ جمال وجههِ اذا كان جميلاً او قامت مقامهُ ملامح الصحة والطلاقة فاكسبتهُ جمالاً لا ينقص عن الجمال الطبيعي وهي

اولاً لا تغسل وجهك الاَّ بالماء الذي يرغي فيهِ الصابون بسهولة ويحسن ان تضيف الى الماء قليلاً من النخالة (الرضَّة) او دقيق الحنطة

ثانياً لا تغسل وجهك بماء بارد جدًّا ولا بماء حارّ جدًّا . وافضل المياه لغسل الوجه الماء الفاتر الاَّ اذا كان في الوجه حبوب الصبا ونحوها فيحسن غسلهُ حينئذٍ بماء حار

ثالثاً اذا كان جلد وجهك رقيقاً وكان شعورهُ شديدًا فلا يحسن ان تغسلهُ بالصابون واذا لم يكن كذلك فاغسلهُ بهِ ولكن يجب ان لا يكون الصابون كثير المادة القلوية اي ان الصابون الذي ينظف الثياب سريعاً لا يصلح لغسل الوجه ولو كان يصلح لغسل اليدين لان جلد اليدين اقوى من جلد الوجه على احتمال المادة القلوية

رابعاً يحسن فرك الوجه وقت غسلهِ بخرقة كبيرة لينة تخاط كالكيس وتدخل الكف فيها لكي ينظف الوجه جيدًا ويتحرك الدم في اوعيتهِ واذا كان فيهِ شيء من حبوب الصبا فالفرك الشديد يجعلها تلتهب وتحمرّ فلا بدَّ من نزع المادة الشحمية منها يوماً بعد يوم بعصرها ويحسن عصر كل جزء من اجزاء الوجه مرةً كل اسبوع بين الابهام والسبَّابة حتى يخرج منهُ ما فيهِ من المواد الدهنية والاَّ تكاثرت فيهِ حول الانف والفم والتهبت

وضع النقود في الفم والميكروبات

وضع النقود في الفم عادة سمجة يأتيها الاولاد ولا يُردعون عنها فيعتادونها ومنها ضرر كبير لان النقود التي تتداولها ايدي الناس يعلق بها كثير من ميكروبات الامراض . ومن رأي احد العلماء ان اكثر امراض الحلق التي يصاب بها الاولاد ناتج عن وضع النقود في الفم

وكما تلصق الميكروبات بالنقود المعدنية تلصق ايضاً بعملة الورق التي شاع استعمالها حديثاً في هذه البلاد ولاسيما لكثرة ما تتداولها الايدي قبلما تتلف . وقد امتحن بعضهم ورقة من ورق بنك انكلترا بان غسلها بالماء واضاف قليلاً من هذا الماء الى الجلاتين الذي تربى فيهِ الميكروبات فوجد فيهِ ميكروبات كثيرة تعدُّ بالالوف

ازالة الحبر عن البسط

اللبن يزيل الحبر عن البسط قبل ان يجف فاذا جف فصبَّ عليهِ قليلاً من زيت البترووليوم فيدخل بين الياف البساط ويرفع قشرة الحبر عنهُ فتزول بفرشاة وقليل من الماء والصابون

الثياب الطويلة الاذيال

عاد النساء الى تطويل اذيال ثيابهنَّ فصرن يمشين في الشوارع واذيالهنَّ تجرُّ وراءهنَّ فتجمع كثيرًا من التراب والغبار وما يمازجهُ من ميكروبات الامراض

اخذ احد العلماء عقدة مربعة من ذيل فسطان كان يجرُّ على الارض. ووضعها في ١٥٠ نقطة من الماء النقي المعقَّم ثم وضع نقطة من هذا الماء في الجلاتين المعقَّم الذي تُربَّى فيهِ الميكروبات فتولَّد فيهِ ٥٣٦ مستعمرة من الميكروبات فلو استعمل الماء كلهُ لتولَّد فيهِ ٢٦٨٠٠ مستعمرة وكل مستعمرة تدل على وجود جرثومة حيَّة من جراثيم الميكروبات فقد كان في العقدة المربعة من ذلك الذيل ٢٦٨٠٠ ميكروب . فان كانت مساحة الذيل الذي يكنس الارض اربع مئة عقدة لصق بهِ اكثر من عشرة ملايين ميكروب عدا ما يثور في الغبار وتتنفسهُ المارَّة او يحملهُ الهواء الى مساكن الناس اما الميكروبات التي يتَّفق ان تعلق باذيال الثياب فاشدُّها ضررًا ميكروب السل وميكروب الدفتيريا وميكروب ذات الرئة فلا يعجب السيدات اذا دخلت هذه الامراض المعدية بيوتهنَّ ولم يعرفنَ سببًا لدخولها لانهنَّ قد يكنَّ هنَّ السبب

منع الصدإِ وازالتهُ

كثيرًا ما تتعب ربَّة البيت من الصدإِ الذي يعلو ما عندها من الآلات والادوات كالمفاتيح والمقارض وآلات الخياطة وما اشبه . ويكثر تولُّد الصدإِ في الاماكن الرطبة الهواء ولا سيما اذا كانت قريبة من البحر اي في هوائها كثير من ذرات الملح فلا يمنع الصدأ عنها الاَّ بمنع الهواء من الوصول اليها وذلك اما بدهنها بمادة تحجب الهواء عنها ولا تتحد بها كالشمع او زيت الكتان المغلي او مزيج من الشحم والجير واماَّ بلفها لفًّا محكمًا بورق مدهون بالزيت او بالشمع

وينزع الصدأُ عن الحديد بفركهِ بغبار السنباذج او بدهنهِ بالزيت وترك الزيت عليهِ ثلاث ساعات ثم فركهِ جيدًا بخرقة ناشفة او بخرقة مغطوطة بالكلس الناعم غير المطفإِ. وغبار السنباذج الناعم وحدهُ او ممزوجًا بالصابون خير من غيرهِ لنزع الصدإِ

علاج الاغماء

اذا أُغمي على احد فضعهُ على ظهرهِ امام شباك او باب مفتوح حتى يهب الهواء على وجههِ فالغالب انهُ يستفيق من نفسهِ من غير واسطة اخرى واذا كان طوقهُ ضيقًا وثيابهُ مزررة فحلّها لكي يسهل عليهِ التنفس. ويحسن ان ترش وجههُ بالماء البارد وتدهن يديهِ وصدرهُ بهِ وان تشممهُ رائحة الكافور او الامونيا وحالما يصير يستطيع ان يبلع اسقهِ قليلاً من الماء

باب التقريظ والانتقاد

الحضرة الانسيَّة في الرحلة القدسيَّة

هو رحلة امام عصرهِ الشيخ عبد الغني النابلسي كتبها في وصف سياحتهِ من دمشق الى القدس سنة ١١٠١ للهجرة اي منذ نحو مئتين وعشرين سنة ومَّما جاء فيها وصف المدرسة السلطانية في القدس الشريف وهو

"وحين أقبلنا على المدرسة المذكورة. رأينا بابًا مرتفعًا عظيمًا مصنوعًا من الاحجار المنحوتة الملونة المحفورة. وعليهِ رواق المدرسة مبني بالاعمدة الرخام والاحجار الكبار العظام. والعقد المقبي العالي وكمال الرونق والبهجة كالكوكب المتلألي. حتى صعدنا نحو خمسين درجة من الدرجات الكبار المبنية بالمنحوت من الاحجار. وهو درج ملفوف مشترك مع دار المنار. وفي اثناء الدرج شبابيك كبار من النحاس مطلات على الحرم ينظر الصاعد فيها الى الناس. ثم دخلنا من فوق ذلك الدرج الى عمارة وذلك على مقدار النصف من درج المنارة. فعبرنا الى مكان واسع الفضا مزخرف الجوانب بالاحجار المنحوتة اذا طلعت عليهِ الشمس اضا. يطل عليهِ اربعة شبابيك من شبابيك المدرسة معقودة من النحاس الاصفر يروق في ذلك المنظر. ثم عبرنا من باب آخر مصنوع من الاحجار المنحوتة. والزخارف والكتابات التي تظل العيون فيها مبهوتة. فوجدنا ممشىً صغيرًا مبلطًا بالرخام والدقيق الملوّن من الاحجار العظام. وهناك جهتان مشتملتان على بابين احدهما على اليمين ولآخر على الشمال. فالذي على الشمال يتوصل منهُ الى مطبخ وبيت طهارة وما يحتاج اليهِ من الاحوال. فاخذنا من ذلك جهة اليمين. فوجدنا بابًا بمصراعين لطيفين. فدخلنا منهُ الى ميدان من الطف الميادين مفروش جميعهُ بالسماقي الملوّن على الالوان. والرخام الابيض والدقي من الحجارة الثي تزين المكان. مسقوف بالسقوف العجمية المدهونة التي تحير الاذهان. فاذا هي قاعة متقنة البنيان محكمة الاركان. تشتمل على اربعة ايوانات. وهي مسقوفة بالسقوف العجمية التي هي بانواع الدهان والاطلية مزخرفات. وجميع جدرانها من داخلها معمولة بالرخام والحجر السماقي الخام. وانواع الفصوص والاحجار الدقاق فارضها تحاكي حيطانها في زيادة البهجة والاشراق. وارضية الايوانات الاربع مفروشة ايضًا بالسماقي والرخام وانواع الاحجار الملوّنة والفصوص المكوّنة. فايوانان منها كبيران واسعان

متقابلان · احدهما اكبر من الآخر واوسع وهو القبلي وفيهِ المحراب العظيم البنيان المتقن غاية الاتقان · وايوانان صغيران متقابلان احدهما اصغر من الآخر. فالصغير منهما لهُ شباكان مطلان على الساحة العلوية التي ذكرناها آنفًا · والايوان الآخر الذي يقابلهُ منفتح الصدر لماع فيهِ عامودان من الرخام الابيض ولهُ شعيرة مبنية من الاحجار الملوّنة في ارتفاع ذراع · وذلك مطل على الحرم الشريف وصحن الصخرة العالي المنيف · وارتفاع سقوف الايوانات والمدرسة يسامت تلك المنارة وكل ذلك معمر اكمل العمارة. وفي الايوان القبلي من الشرق ثلاثة شبابيك كبار معقودة من النحاس الاصفر نزهة للابصار . مطلات على الحرم وصحن الصخرة. وفي جهتهِ القبلية اربعة شبابيك كبار ايضاً كذلك واحد منها يطل على الحرم الشريف من جهة القبلة · والثلاثة مطلة على دهليز المدرسة وتلك الظلة . وشباكان من الجهة الغربية على تلك الساحة المذكورة السماوية · وفي الايوان الشمالي شباكان كبيران من الجهة الشرقية · مطلان على الحرم وسطح الصخرة وشباكان كذلك · من الجهة الشمالية مطلان على الحرم وهاتيك المسالك · ومن جهة الغرب شباكان ايضاً مطلان على بيت لطيف لصيق المطبخ المذكور فيما تقدم · وعلى الجملة والتفصيل فهي مدرسة عظيمة ذات قدر جليل وهي من بناء السلطان الملك الاشرف قايتباي الشركسي · وقد ذكر الشيخ محمد ابن الشيخ يوسف الباعوني في التاريخ المنظوم الذي ذيلنا عليهِ بذكر الدولة العثمانية · وجرينا على اسلوبهِ المعلوم عند ترجمة السلطان الاشرف قايتباي وذكر مالهُ من الخيرات والعماير. فقال وعمَّر السلطان ايضاً مدرسة في المسجد الاقصى غدت مؤسسة في غاية الاتقان والاحكام بزخرف الطرز وبالرخام"

وحبذا لو ذكر الامام عدد تلامذة تلك المدرسة وعدد اساتذتها وانواع العلوم التي يتعلمونها والكتب التي يقرأونها فان ذلك اولى بالذكر من وصف المباني وزخرفتها

وقد عني بطبع هذه الرحلة حضرة الاديب ديمتري افندي نقولا على نفقة حضرة الوجيه ابرهيم افندي عبد المسيح صاحب جريدة الاخلاص

تقويم المؤيد

ظهر تقويم المؤيد عن سنة ١٣٢٠ هجرية لحضرة مؤلفهِ الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود وهو على نسق ما تقدَّمهُ من التقاويم جامع لكثير من الفوائد العلميَّة والادبيَّة والتاريخيَّة حتى كأنهُ مجلَّة علميَّة . وقد جُلِّد تجليدًا حسنًا موسومًا بماء الفضة

تاريخ

حرب الدولة العثمانيَّة مع اليونان

اتحفنا حضرة الكاتب المحقق حقي بك العظم بسفر جليل فصَّل فيهِ وقائع حرب الدولة العثمانيَّة مع اليونان وقال انهُ اقتطفهُ من خمس كتب تركية وكتاب انكليزي وكتاب فرنسوي وضعت في وصف هذه الحرب . وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة ابان فيها سبب خروج اليونان على الدولة العلية على رأيهِ وهو اختلاف الدين واللغة . ولو كان اختلاف الدين واللغة كل السبب في خروج الخاضعين لدولة عليها ما خضعت امة لدولة تخالفها ديناً ولغةً . ولو كان عدم الاختلاف في الدين واللغة موجباً لبقاء الدول على كيانها ما تمزَّقت دولة من دول العرب القديمة . لكن الباحث في تاريخ العمران يرى لتمزُّق الدول وخروج الرعايا عليها اسباباً أُخرى اقوى من اختلاف الدين واللغة بيَّنها ابن خلدون الفيلسوف العمراني العربي في مقدمتهِ بالاسهاب فلتراجع فيها

ثم ان المؤلف نسب ثورة اليونان الاولى الى مفاسد الاوربيين الذين زرعوا بزور الفتن بين اهل المورة وهذا من الاقوال التي يصعب اثباتها بالدليل وخير من الاعتماد عليها البحث عن الاسباب الحقيقية التي تثير ثائرة السكان لازالتها

لما هاجت الخواطر في القطر المصري منذ بضع سنوات خشي البعض من قيام الثورة فيهِ فخاطب بعضهم جناب اللورد كرومر في ذلك فضحك وقال لا خوف من الثورة الاَّ اذا جاع الناس وفسدت الاحكام وكثرت المظالم اما الآن فالدلائل كلها تدلُّ على ان الناس شباعى والاحكام آخذة في الصلاح والمظالم آخذة في الزوال ولذلك لا يمكن ان تحدث في البلاد ثورة . اسأَلوا اصحاب الاطيان وارباب الاموال والمتاجر فما دام هؤُلاء آمنين على اموالهم فهم راضون بالحالة الراهنة لا يطلبون تغييرها والاعتماد عليهم لا على سواهم

الَّا ان الكاتب لا يغضي عن كل مواقع الضعف بل كثيراً ما يشير اليها اشارة الصديق المخلص لان صديقك مَن صدقك كقولهِ في الكلام على جنود الدولة العلية " والبنادق المسلَّح بها الجيش العثماني هي من طراز هانري مارتيني وموزر السريعة الطلقات ولكن بكل أسف لم نرَ في الحرب التي نحن بصددها الَّا لواء واحداً مسلحاً من بنادق موزر فلماذا اشترت الدولة هذه البنادق وصرفت عليها مئات الالوف من الجنيهات أَلحفظها في مخزن ماجقه الحربي في الاستانة فاذا كانت الدولة لم تستفد في الحرب من تلك البنادق التي هي بالحقيقة اصلح واحسن من بنادق هانري مارتيني ومرماها ابعد فمتى تستفيد منها . وقس على ذلك كلامهُ عن القوة البحرية .

وفصول الكتاب عن الحرب نفسها مسهبة مشحونة بالادلة على بسالة الجنود العثمانية ومهارة قوادها في فنون الحرب فنثني على حضرة مؤلفهِ اطيب ثناء

كتاب القواعد الالمانية

(Hartmann, Kleine deutsche Sprachlehre für Araber.)

اتانا من بيت يوليوس كروس بهيدلبرج Julius Groos, Heidelberg نسخة من هذا الكتاب وقد وضعهُ الدكتور هرتمن ليسهّل على ابناء اللغة العربية تعلُّم اللغة الالمانية . ويقول العارفون باللغة الالمانيَّة والعربيَّة انهُ من احسن الكتب لهذا الغرض فنشير على طلاَّب اللغة الالمانيَّة باقتنائهِ

تأسيس النظر

في المسائل التي اختلف فيها الفقهاء ابو حنيفة ومحمد وابو يوسف ومالك ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر وابن ابي ليلى والشافعي لمؤلفهِ الامام ابي زيد عبدالله بن عمر الدبوسي الحنفي المتوفَّى في بخارى سنة ٤٣٠ للهجرة . ويليهِ رسالة الامام الكرخي في الاصول التي عليها مدار فروع الحنفيَّة مع شواهدها ونظائرها للامام ابي حفص عمر النسفي . وقد طُبع في بيروت على نفقة حضرة مصطفى افندي القباني الدمشقي ومحمد افندي الخانجي الحلبي

تقويم ادارة المساحة

اصدرت ادارة عموم المساحة تقويمًا لسنة ١٣٢٠ الهجرية اثبتت فيهِ تواريخ الايام بالحساب الهجري والافرنجي والقبطي والرومي والعبري واوقات شروق الشمس وغروبها واوجه القمر ومطالع الكواكب لكل شهر من شهور السنة

وفي هذا التقويم فوائد جمَّة غير ما تقدم ممَّا تمسُّ الحاجة الى معرفتهِ كالاوقات التي توزع فيها فوائد الديون المصرية والاوقات التي تحصَّل فيها الاموال الاميرية من مديريات القطر والتي يكون فيها امتحان الطلبة

ويلي ذلك دليل عام عن وكلاء الدول في القطر المصري ومكاتب تلفونات الحكومة والمحاكم المختلفة . واحوال الجو في العام الماضي الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة وثمن النسخة منهُ ٢٥ مليمًا

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف • ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) الماسونية ومبرَّاتها

مصر • احد المشتركين . كثيرًا ما نسمع عن الجمعيَّة الماسونية ان غايتها الرأفة بالمسكين والارملة واليتيم ولكننا لم نسمع بمدرسة للماسون ولا بمستشفى ولا باجزاخانة فاين المال الذي يجمعونهُ ويدعون انهم يوزعونهُ في طرق البر واين المساعدات الادبيَّة والمادية التي تقوم بها الجمعيَّة الماسونية

ج ان اكثر ما ينفقهُ الماسون هو على فقرائهم فاذا افتقر اخٌ منهم او توفي ساعدوهُ او ساعدوا عيالهُ على قدر طاقتهم ولهم في بعض البلدان مدارس خيرية ينفقون عليها فالماسون في بلاد الانكليز مثلاً انفقوا في العام الماضي نحو ثلاثين الف جنيه على ملاجئ الارامل والايتام ونحو ٢٦ الف جنيه على مدرسة خيرية للصبيان ونحو ٢٨ الف جنيه على مدرسة خيرية للبنات وهذا متوسط نفقاتهم السنوية على هذه الملاجئ وهاتين المدرستين

والماسونية في القطر المصري تنفق على مثل هذه الاغراض ونفقاتها ليست قليلة بالنسبة الى عدد اعضائها والغرض الاهم من الماسونية ليس التصدُّق على الفقراء لان اعضاءها مشتركون في جمعيات اخرى خيرية تتصدَّق على الفقراء بل مساعدة اعضائها بعضهم لبعض وهذا يفعلهُ كثيرون منهم

(٢) اساس الماسونية

ومنهُ . يقال ان اساس الجمعية الماسونية على هذه الكلمات الثلاث الحرية والمساواة والاخاء لكننا نرى بين اعضائها اناساً لا يفهمون معنى هذه الكلمات فكيف قبلوا في عضويتها

ج ان كان قولكم صحيحاً فتكون الجمعيَّة قد اخطأَت في قبولهم وهي غير معصومة عن الخطإِ ولو كانت تلام لانها لم تتحرَّ التحري الواجب في اختيار اعضائها

(٣) كراهة الماسونية

ومنهُ . لماذا نرى خدمة الدين من جميع المذاهب يقاومون هذه الجمعية مع انها اخوية مبنيَّة على المحبة ومساعدة القريب

ج حبذا لو وجهتم سؤالكم هذا الى الذين يقاومون الماسون وسأَلتموهم عن سبب مقاومتهم لهم . ونحن واثقون تمام الثقة ان سبب هذه المقاومة سياسي لاديني والاَّ فالماسونية اقرب الجمعيات كلها الى معاضدة ايمة الدين وغاية ما نتمناهُ ان يأتي الزمن الذي ينظر فيهِ الناس الى الجوهر ويتركون العرض فيبتعدون عن كل اسباب العداء والشحناء

---

(٤) تحريك الطاولة

مصر . توفيق افندي كلداني . لا بدَّ من ان انكم سمعتم عن الطاولات المتحركة فقد كنت بالامس عند جماعة من الاصدقاء فاحضروا طاولة صغيرة ليس فيها مسامير وبعد ان وضع اربعة من الحاضرين ايديهم عليها بضع دقائق جعلت تتحرك من نفسها فيسأَلها الحاضرون ما شاؤُوا فتجاوبهم برفع احدى ارجلها على مرات معدودة مثلاً اذا سأَلها احدٌ عن راتبهِ تجاوبهُ برفع رجلها مرات بقدر الراتب . وحركة الطاولة طبيعية كما شاهدتها انا وغيري ولا تتحرك الاَّ اذا طُلب منها ذلك فنرجوكم ان تفيدونا عن حقيقتها او عن سر هذه الحركة وبماذا تعللونها وما هي العلاقة بين فكر السائل وجواب الطاولة

ج كان بين الذين وضعوا ايديهم عليها رجل حرَّكها كذلك إمَّا عمدًا او عن غير عمد . أما التحريك عمدًا فمعلوم واما التحريك عن غير عمد فكيفيتهُ ان بعض الناس يؤَثر فيهم ما يفكرون بهِ تأْثيرًا يجعلهم يحركون ايديهم وارجلهم ونحو ذلك من اعضائهم حركات تطابق المراد وهم غير قاصدين ذلك ولا شاعرين بهِ . واكثر ما يكون هذا في النساءِ وصغار السن وعصبيي المزاج فاذا اخفى ولدٌ شيئًا وطلب منك ان تعرف اين اخفاهُ ورآك اخطأْت في حزرك فذهبت الى غير المكان الذي اخفاهُ فانهُ يشير اليك بوجههِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات كثيرة تدل على انك مخطىءٌ . واذا رآك اهتديت الى المكان الذي اخفاهُ فيهِ وانت ذاهب اليهِ توًّا اشار ايضًا بوجههِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات الاصابة كانهُ يكلمك بكلام مسموع انك مخطىءٌ في الاول ومصيب في الثاني وهو يفعل ذلك عن غير قصد ومن غير ان يشعر بهِ

وقد اثبت الاستاذ فاراداي بالامتحان ان الذين يضعون ايديهم على الطاولة هم الذين يحركونها فانهُ صنع آلة تدلُّ على حركات ايديهم ولو كانوا غير شاعرين بها

---

(٥) حادثة ناورين

القاهرة . احمد افندي عبد الرحيم المورالي . كم كان عدد السفن العثمانية والمصرية ورجالها التي غدرت بها اساطيل الدول الثلاث الروس والانكليز والفرنسيس ودمرتها في مياه ناورين في ثغور اليونان سنة ١٨٢٧

ج جاءَ في تاريخ طمسن ان السفن التركية والمصرية كانت ٧٩ سفينة وكان فيها ٢٢٤٠ مدفعاً . واما السفن المتحدة فكانت ٢٦ سفينة فقط وكان فيها ١٣٢٤ مدفعاً ولكن كان فيها عشر بوارج واما السفن التركية والمصرية فلم يكن فيها سوى ثلاث بوارج وكان اكثر الرجال الذين في هذه غير مدربين على الحروب البحرية واما رجال السفن المتحدة فكانوا مدربين عليها . ويظهر من هذا التاريخ وغيرهِ ان تلك الواقعة لم تحدث غدراً وان السفن العثمانية هي التي ابتدأت باطلاق النار فان فرقاطة انكليزية ارسلت قارباً من قواربها الى القائد العثماني تطلب منه ان يأمر بابعاد ست حرَّاقات كانت واقفة في مدخل المرفإ فاطلقت السفن التركية النار عليهِ خطأً وقتلت الملازم فتزروى وكثيرين من البحَّارة فظنت بقية السفن العثمانية ان الحرب ابتدأت وجعلت تطلق القنابل على السفن المتحدة وكانت الموسيقى الانكليزية تعزف على ظهر السفينة "اسيا" سفينة امير البحر الانكليزي حينما ابتدأ اطلاق المدافع عليها وكاد يغرقها

(٦) البادئ بها

ومنهُ . مَن من الدول الثلاث اقترحت امر هذا التدمير

ج ذكرنا في جواب السؤَال السابق ان الواقعة ابتدأت خطأً ولكن الفريقين كانا مستعدين لها على ما يظهر وكلٌّ منهما ينتظر ان لا يكون هو البادئ . ويظهر من القرائن ان الروس كانوا اشدَّ رغبة من غيرهم في تدمير العمارة التركية ليخلو لهم الجو في البحر الاسود ولكن الدول الثلاث كانت مرتبطة بمعاهدة لندن وهي لا تجيز لها ذلك ولم ترَ اساطيلها سبيلاً لمنع الاساطيل العثمانية ممَّا كانت تفعلهُ في جزائر اليونان الاَّ بحصرها في خليج ناورين

---

(٧) مطبعة البالوظة

الاسكندرية . احمد افندي كامل مراد . كيف تعمل مطبعة البالوظة بالتوضيح

ج تجدون ذلك في هذا الجزء في باب الصناعة

---

(٨) اولاد آدم

المراغا . قرياقص افندي ميخائيل . قلتم في جواب سؤَالي المدرج في الجزء الثالث ان قايين اراد بقولهِ كل مَن وجدني يقتلني "اناساً من ابناء آدم وان نسل آدم كان قد كثر حينئذٍ" ولكن جاء في العدد ٢٥ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين ان حواء ولدت ابناً دعت اسمهُ شيثاً قائلة ان الله وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل لان قايين كان قد قتلهُ . ومن هنا يعلم انهُ لم يولد لآدم ولد الاَّ بعد قتل هابيل فكيف ذلك

ج ان العبارة التي اجبناكم بها ليست

لنا بل هي لعلماء التفسير كما صرّحنا بذلك . فاذا لم تقنعكم فليس اللوم علينا اما قول حواء ان الله وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل فلا يلزم عنهُ انهُ لم يولد لها اولاد كثيرون قبلما كبر قايين وهابيل . ومن الناس من يظن انهُ كان في الارض اناس آخرون غير آدم ونسله وان هؤلاء هم المشار اليهم بقول التوراة "ورأى ابناء الله بنات الناس انهنَّ حسنات" لكن علماء الديانة لا يقبلون هذا الظن

(٩) انبات شعر الاقرع

ومنهُ . سألناكم في سؤال آخر عمَّا اذا كان يمكن انبات شعر الاقرع وما الطريقة فاجبتم عن الجزء الاول من السؤال ولم تذكروا الطريقة التي يمكن انبات الشعر بها

ج يظهر لنا انكم لم تمعنوا نظركم في الجواب فقد قلنا فيهِ انهُ اذا جرى داء القرع مجراهُ الطبيعي وقع الشعر بهِ وتلفت بصلاتهُ ولم يعد انباتهُ ممكناً فاذا كان انباتهُ غير ممكن فكيف نذكر طريقة يمكن انباتهُ بها . واما اذا عولج داء القرع حال حدوثهِ فانهُ يشفى ثم يعود الشعر فينبت من نفسهِ

---

(١٠) شركات التأمين

قنا . عبد الحليم افندي حلمي . هل شركات التأمين على الحياة غير قابلة للافلاس كغيرها من الشركات فيكون الانسان آمناً على اموالهِ فيها واذا كنت اريد ان أؤمن حياتي على الف جنيه لمدة ثلاثين سنة فكم يجب ان ادفع كل شهر

ج هي معرَّضة للافلاس مثل غيرها ولكن افلاسها قليل جدًّا في هذا الزمان لقلَّة الحروب الاوربية ولذلك اغتنت شركات كثيرة واقتنت عقارات ثابتة الريع وصار الخوف من افلاسها قليلاً جدًّا . واذا خاف المرء من افلاس شركة امَّن على حياتهِ في شركتين . اما المبلغ الذي يجب دفعهُ فيختلف باختلاف سنكم الآن ويحسن بكم ان تستعلموا عن ذلك من وكلاء الشركات التي تعلن في المقطم

(١١) نفقات التلامذة

ومنهُ . ان نفقات التلميذ في بلادنا لا تزيد على ثلاثة جنيهات في الشهر عدا اجرة التدريس في المدرسة فهل اذا أُرسل تلميذ الى اميركا او انكلترا وأُرسل اليهِ هذا المبلغ يمكنهُ ان يعيش بهِ

ج كلاَّ لان المعيشة غالية هناك ولا يكتفي التلميذ باقل من اربعة جنيهات او خمسة في الشهر ولكنهُ اذا كان مدبرًا فقد يستطيع ان يعمل عملاً ما في زمن الدرس وفي زمن الفسحة يكتسب بهِ ما يقوم بنفقاتهِ . وكثيرون من الشبان الاوربيين والاميركيين يفعلون ذلك . نعرف قسيساً فاضلاً يخدم ابنهُ في فسحة الصيف في اللوكندات فيكتسب ما يقوم بنفقاتهِ السنة كلها . واخبرنا احد مشاهير الاطباء الاميركيين انهُ تعلَّم العلوم والطب ولم

يأخذ من ابيهِ درهمًا بل كان ينفق على نفسهِ ويدفع نفقات المدرسة من تعب يديهِ مع ان اباهُ من اغنى الاطباء

---

(١٢) رواية ادبية

البياضية · القس ابرهيم جرجس · نقصد تمثيل رواية ادبيَّة في المدرسة الانجيليَّة بالبياضية وقت الامتحان · وقد مثلنا في السنين السالفة الروايات المؤَسسة على الحوادث الكتابيَّة كرواية استير ورواية نبوخذنصَّر · ونقصد ان تمثل الآن رواية تظهر اضرار المسكرات او غيرذلك من المواضيع الادبيَّة فهل تتكرمون بارشادنا الى رواية من هذا النوع تفي بالمراد

ج تجدون ما يفي بمرادكم في رواية الاميرة المصرية التي طبعت في مطبعة المقتطف وفي تاريخ الاسكندر الذي طبعناهُ في المقتطف وفي حادثة الملك المنذر الذي قتل نديميهِ وهو سكران وقد وضع المرحوم الشيخ خليل اليازجي رواية تمثيلية لهذه الحادثة الاخيرة سماها المروَّة والوفاء ولكننا لا نظن انهُ اطال فيها في اظهار مضار السكر فيمكن التصرُّف فيها لاظهار مضارهِ · وفي رواية الاميرة المصرية ورواية قلب الاسد التي ترجمناها وطبعناها في مطبعة المقتطف ورواية الشهامة والعفاف التي طبعناها في المقطم وعلى حدة ورواية امير لستر التي ترجمناها وطبعناها في اللطائف حوادث كثيرة يمكن صوغها في قالب الروايات التمثيليَّة الادبيَّة

(١٣) انتقاد التوراة

ومنهُ · كيف اصطلحتم على ترجمة الكلمات التالية critics, high critics, higher critics, modern criticism.

ج اتبعنا الترجمة الحرفية فترجمنا criticium بكلمة انتقاد و critic بكلمة منتقد وكذلك modern بكلمة حديث اما الصفة عالٍ وافعل التفضيل اعلى فكنا نتركهما في ما كتبناهُ او ترجمناهُ عن هذا الانتقاد او نستعيض عنهما بكلمة محِّص ولم ندقق اكثر من ذلك

(١٤) الانتقاد

ومنهُ · هل كتبتم في السنين الماضية من المقتطف شيئًا عن جماعة ال Critics هؤُلاء وهل يمكنكم النظر في شأْنهم من جهة علمية

ج اننا لم نكتب شيئًا الاَّ عرَضًا ويعسر علينا ان نكتب كتابة مسهبة في هذا الموضوع لاننا عرفنا بالاختبار ان جمهور القراء يسيء فهم ما نكتبهُ فيهِ · ثم ان هذا النوع من الانتقاد لم يقف حتى الآن على اسس ثابتة يمكن الاعتماد عليها والاقتناع بانها لا تتغير قريبًا

---

(١٥) علاج الزهري

ن · م · احد المشتركين · · ·

ج يظهر من وصفكم ان داء الزهري لم يزل

كامناً في جسمكم تعاودكم اعراضهُ حيناً بعد آخر وهذا اكبر دليل على ان المعالجة لم تتم فيكم فلا بد لكم من تعاطي الدواء مدة طويلة ربما تمتدُّ الى اكثر من سنة . وتعاطي يودور البوتاس وحدهُ ليس بكافٍ لشفاء هذا الداء ولا بد من الرجوع الى تعاطي الزيبق مع اليودور . اما تعاطيكم الحديد البرافية فلا يخلو من الفائدة لتقوية الجسم تقوية عمومية ولكن الافضل ان تأخذوا الحديد مركباً مع الزيبق كما في حبوب ضد الزهري تركيب معمل اب جون ثلاث حبات من هذه الحبوب كل يوم مدة اسبوعين ثم تنقطعوا عنها في الاسبوع الثالث وتأخذوا فيهِ حبوب يودور البوتاس وتعودوا اليها في الاسبوعين الرابع والخامس وهكذا الى ان يشفى المرض تماماً . ويجب ان تمتنعوا عن الزواج قبل الشفاء التام

اما الدلك بالزيبق فلا يعوَّل عليهِ ولا يستحسن اذا استطاع العليل اخذ الزيبق من الداخل

(١٦) تقوية الدم

ومنهُ . انني استعملت كثيراً من الادوية المقوية للدم وخصوصاً الحديد وحسن التغذية ولكن صحتي لم تزل على غاية الضعف فهل من وسيلة اخرى تقوي جسمي غير الادوية وهل من فائدة للدواء المسمَّى كورديال

ج لا شبهة في ان الحديد من افضل المقويات الدموية ولكن يفضل ان يعطى مركباً مع ادوية اخرى تزيد فائدتهُ وتقلل ضرر الامساك الناتج عن استعمالهِ وحدهُ فاذا اخذتم حبوب الحديد المركبة مع الصبرين ترون منها نتيجة حسنة جدًّا وهي مركبة من الحديد وكربونات البوتاس وخلاصة جوز القيء والصبرين والحمض الزرنيخوس ولكل من هذه العقاقير فوائد تضم الى الفائدة العائدة من الحديد وحدهُ فتتم بذلك الفائدة العامَّة المطلوبة ولا بدَّ من الانتباه الشديد الى الرياضة البدنية واستنشاق الهواء النقي وملاحظة الغذاء وجميع الوسائط الهيجينية . اما الدواء المسمى كورديال فهو نوع من الادوية المجهولة التركيب فلا يشير بهِ طبيب ما لم يعرف تركيبهُ

---

(١٧) دخول الوباء مصر

كفر طما . احمد افندي محمد زرفت .

قال احد الثقاة عن دخول الوباء الى مصر انهُ يدخلها في كل سنة اولها ثاء مثلثة فهل لذلك من صحَّة

ج مقتضى هذا القول ان يدخل الوباء مصر مرة كل عشر سنوات مثلاً ١٢٠٣ و١٢١٣ و١٢٢٣ و١٢٣٣ و١٢٤٣ الخ والواقع ليس كذلك كما لا يخفى . اما سؤالكم عمَّا قيل في كتاب الاغاني فاخبرونا في اي جزءٍ واي صفحة ورد ما تشيرون لكي ننظر فيهِ وكذلك اخبرونا اين قرأتم عن ذكر اعمال هرقل الاثني عشر

باب الاخبار العلمية

هبات اميركيَّة جديدة

وهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مليونًا وربع مليون من الريالات في غضون السنة المدرسية الحالية . ووعد مدرسة هارفرد الطبية بمليون ريال اذا وهبها غيرهُ ٧٦٥ الف ريال فلم يمضِ اسبوعان على وعدهِ هذا حتى وهبها البعض ٨٢١ الف ريال فاستحقَّت هبة ركفلر حالاً . ووهبت مسز هنتنجتن هذه المدرسة ٢٥٠ الف ريال لتنشئ بها دارًا للبحث الباثولوجي والبكتيريولوجي تذكارًا لزوجها ووهبها المستر ستلمن مئة الف ريال . ووهب المستر ركفلر مدرسة كولمبيا الجامعة ٢٥٠ الف ريال علي شرط ان يهبها غيرهُ ٢٥٠ الف ريال أُخرى . واوصى المستر جورج سمث باربعمئة وخمسين الف ريال لمدرسة هارفرد الجامعة واوصى لها المستر بلنجس بمئة الف ريال والمستر هويلوك بمئة الف ريال وهذا الاخير اوصى بمئة الف ريال لمدرسة كلارك الجامعة . واوصى المستر بلنجس بمئة الف ريال لمدرسة مستشوستس الصناعية وبمئة الف ريال لمتحف بوستن. ووهب المستر كارنجي مدرسة وستر الجامعة مئة الف ريال ووهبها المستر سفرنس خمسين الف ريال

ولا يكاد يمرُّ اسبوع الاَّ وتنشر جريدة العلم الاميركية خبر هبات جديدة يهبها اغنياء اميركا لمدارسها

حرارة الشمس

بعث الاستاذ تشارلس ولسن الى الجمعيَّة العلمية يقول انهُ وجد بالبحث المدقق ان حرارة الشمس تبلغ ٦٢٠٠ درجة بميزان سنتغراد والمرجح ان جو الشمس قد امتص منها نحو اربع مئة درجة فكانت على سطح الشمس ٦٦٠٠ درجة

فكتوريا نينزا

اتمَّ الانكليز مسح بحيرة فكتوريا نينزا او مسح نصفها الخاص بهم بعد ان اشتغلوا بذلك ثلاثة عشر شهرًا فوجدوا فيها كثيرًا من الجزائر الكبيرة والصغيرة وكلها آهلة بالسكان وبعضها مزدحم بهم ازدحامًا وطول القسم الذي للانكليز من الشرق الى الغرب ١٣٥ ميلاً وعرضهُ من الشمال الى الجنوب ٩٠ ميلاً ما عدا الخليج الشرقي وطولهُ اربعون ميلاً . والعواصف شديدة في هذه البحيرة وفي بعض جزائرها سكان متوحشون جدًّا

قطع الصحراء بالبالون

يهتم بعض الفرنسويين الآن بعمل بالون كبير يقطعون بهِ صحراء افريقية من تونس الى النيجر معتمدين على الرياح الشمالية الشرقية ويكون في هذا البالون حوض كبير من الماء يصبُّ بعض الماء منهُ اذا اريد تخفيفهُ ويكون فيهِ حبل طويل من الاسلاك المعدنية يجرُّ وراءَهُ حتى يبقى متصلاً بالارض وكأَن الغرض منهُ قطع الصحراء على بعد قليل فوق الارض

الوحوش والموسيقى

امتُحن فعل الموسيقى بالوحوش في بستان الحيوانات بالمانيا وكانت الآلة الكمنجة فالاسود خافت من صوتها واشبالها طربت ومالت الى الرقص والضباع اضطربت والقرود استغربت والذئاب سُرَّت وظهرت كأَنها تطلب المزيد والنمور لم تعبأْ بشيءٍ

آلة كهربائية شمسية

اشار بعضهم ان تصنع آلة لتوليد الكهربائية بالحرارة على مبدإِ الترموبيل اي يكون فيها رصيف من معدنين مختلفين تتولد منها الكهربائية اذا احميت من احد طرفيها وان توضع في مكان تقع عليها فيهِ اشعة الشمس فتسخن وتتولد منها الكهربائية حتى اذا كانت قوة الكهربائية جزئين في المئة من قوة حرارة الشمس تكون كافية لادارة الآلات

محراث غتلنج

اخترع المستر غتلنج مخترع المدفع الكثير الطلقات محراثاً بخاريًّا يقوم مقام ثلاثين زوجاً من المواشي واذا اشعل فيهِ الغازولين لاتزيد نفقاتهُ على ريالين في اليوم ويمكن ان يحرث الارض ويزرعها في وقت واحد وقد أُلفت شركة في مدينة سنت لويس باميركا لعمل هذا المحراث

تخدير النبات

استنبط احد علماء الالمان عقاراً اذا حقن بهِ النبات قرب جذورهِ خدر وتوقف نموهُ ولم يعد يتأثر من حرٍ ولا من برد فيبقى حيًّا ولكنهُ لا يكبر بل يبقى على حالهِ . ولم يكشف سرُّ هذا العقار حتى الآن

النفع من النفاية

لما كان المسيو سنتوس ديمون يمتحن بالونهُ السادس في موناكو قام عليهِ اهل البلد وادَّعوا انهُ سمَّ البحر امام مدينتهم بما طرحهُ فيهِ من فضلات المواد الكيماوية التي استخرج الغاز منها ومنعوهُ من طرحها فيهِ ايضاً لئلا تميت السمك وبعد البحث المدقق ظهر ان هذه الفضلات كانت تنحل بماء البحر فيرسب فيهِ منها اكسيد الحديد وهو نافع للسمك ولا ضرر منهُ على الاطلاق ولما ثبت لهم ذلك اباحوا لهُ ان يطرح في البحر ما يشاءُ من هذه النفايات

سكان مصر الاقدمون

لا تنتهي غرائب هذا القطر فبينا كنَّا نحسب المكتشفات الجيولوجية التي كشفت في صحراء الفيوم ووصفناها في هذا الجزء اعظم ما يمكن ان يكشف فيهِ علمنا انهُ كشفت في جرجا مقبرة قديمة فيها بقايا اناس سكنوا هذا القطر في ازمان مختلفة مدة ثمانية آلاف سنة على الاقل . وهي اجسام حُفظت من البلى بسبب جفاف الهواء ولم يزل الشعر في بعضها والاظافر والعضلات والاعصاب والدماغ ظاهرة كلها وفي جثتين منها بقيت الاعين وعدسياتها ظاهرة ايضاً يسهل تمييزها ولو كانت قد جفَّت جفافاً تاماً . ومن هذه الجثث ما هو قديم جدًّا كما تقدَّم ومنها ما هو حديث بالنسبة اليهِ من عهد الدول الخمس عشرة الاول من الدول المصرية ومنها ما هو احدث منهُ من عهد البطالسة والرومانيين. اكتشف هذه المقبرة الدكتور ريزنر من مدرسة كليفورنيا الجامعة باميركا و بحث فيها الدكتور اليوت سمث استاذ التشريح في مدرسة قصر العيني الطبيَّة بحثاً تشريحيًّا وسيطبع تقرير مسهب عنها في مطبعة لبسك بالمانيا موضح بالصور الكثيرة فنأتي على خلاصتهِ حين نشرهِ

اقدم كتابة

يقال ان اقدم كتابة عثر عليها الباحثون عن العاديَّات حتى الآن كتابة صورية على قطعة من الخزف وجدت في خرائب مدينة نبور يمتد تاريخها الى سنة ٤٥٠٠ قبل التاريخ المسيحي

حفظ الزبدة بالصمغ العربي

بيَّن المسيو اميل مليستر البلجي ان الصمغ العربي يحفظ الزبدة من الفساد وذلك بان يذاب في الماء ويضاف اليها قليل منهُ وتمزج بهِ جيدًا . فاذا شاع استعمال الصمغ العربي لحفظ الاطعمة من الفساد عاد ثمنهُ الى الارتفاع بعد هبوطهِ

اطول خطوط التلفون

باريس مركز خطوط التلفون الطويلة فانها ممتدة منها الى لندن وهمبرج وبرلين وتورين وميلان . وطول الخط من باريس الى برلين ٦٣٥ ميلاً وهو اطولها ومن باريس الى همبرج نحو ذلك ومن باريس الى تورين ٣٧٥ ميلاً ومن باريس الى ميلان ٤٧٠ ميلاً . والخط من برلين الى كولون طولهُ ٣٧٥ ميلاً فاذا اراد احد ان يتكلم من باريس الى كولون تكلم بطريق برلين واتصل الخطان فصار منهما خط واحد طولهُ الف ميل

السبق للمتوحش

استنبط احد الاميركيين اسلوباً للف الحبال حتى تكون كبَّة واحدة اسطوانية لا تنحل من نفسها وسجَّل استنباطهُ هذا ثم ظهر ان في دار التحف المجموعة من اقطار المسكونة كبَّتين

من الحبال ملفوفتين وهما ممَّا صنعهُ اهالي فيجي ولفوهُ منذ سنين كثيرة وعليهِ فهذا الاستنباط قديم سبق اليهِ اهالي فيجي المتوحشون . وللمادرى ديوان الامتياز بذلك نزع الامتياز من المستنبط الاميركي لان غيرهُ سبقهُ الى هذا الاستنباط

باب الاختراع

قالت السينتفك اميركان ان نفايات المسالخ صارت الآن تساوي ثمن اللحم بعد ان كانت اقذار يُنفَق المال على التخلُّص منها . وان الفضلات الحامضة التي تخرج من زيت البترول وقت تنقيتهِ صارت الآن تفي بكل النفقات اللازمة لتنقيتهِ والفضل في ذلك لاهل الاختراع والاكتشاف . ولا يزال الباب مفتوحاً لاختراعات كثيرة تغني اصحابها مثل اختراع مادة تقوم مقام جلد الاحذية ومادة تقوم مقام الصمغ الهندي وهلمَّ جرًّا

مخترع عيدان الفصفور

ثبت الآن ثبوتاً ينفي الريب ان مخترع عيدان الفصفور صيدلاني انكليزي اسمهُ جون ووكر اخترعها اولاً سنة ١٨٢٧ ولم يسجل اختراعهُ وكان يبيع الصندوق الصغير بسبعة غروش ويصنع مزيج الفصفور بيدهِ

ربح المخترعين

قالت جريدة السينتفك اميركان ان الذي اكتشف طريقة اغلاء السكر في الفراغ وقت تنقيتهِ اكتسب من هذا الاكتشاف ما بين اربعين وخمسين الف جنيه كل سنة مدة الامتياز والذين صنعوا الشماسي اولاً ربحوا منها مليونين من الجنيهات . والذي استنبط اللعبة المعروفة باسم جون جلبن ربح منها عشرين الف جنيه كل سنة مدة امتيازهِ والذي خطر لهُ وضع قمع الصمغ الهندي على طرف اقلام الرصاص ربح من ذلك عشرين الف جنيه كل سنة . والذي صنع قطعة النحاس التي توضع على كعوب الاحذية باع منها في سنة واحدة ١٤٣ مليون قطعة ربح منها ٢٣٠٠٠ الف جنيه

الخسوف الكلي

خسف القمر خسوفاً كليًّا في ٢٢ ابريل الماضي كما انبأنا في الجزء الرابع فطلع مخسوفاً بالظليل لكنهُ كان مشرقاً على جاري عادتهِ وابتدأ الخسوف الحقيقي اي اول دخول القمر في ظل الارض الساعة السابعة وتم الخسوف الكلي الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة لكن القمر بقي ظاهراً كأنهُ محجوب بالضباب لاغير وطرفهُ الغربي الجنوبي يكاد يكون منيراً وابتدأ الانجلاء الساعة التاسعة والدقيقة ٣٥ وتمَّ الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ اي خرج القمر كلهُ من مخروط ظل الارض . وقد طبَّل بعض العامَّة وجلبوا على جاري عادتهم ولكن يظهر انهم فعلوا ذلك على سبيل اللعب والهزل لا خوفاً على القمر كما كان يفعل اسلافهم

كسوف الشمس

ستكسف الشمس كسوفًا جزئيًا في السابع من هذا الشهر (مايو) لا يظهر في القطر المصري

حروف مطابع الصين

يشكو جامعو الحروف العربية من كثرة اشكالها لانك تجد في الصندوق الواحد من صناديق الحروف اكثر من الف بيت للجنس الواحد من الحروف فان لحرف الميم مثلاً خمسة عشر نوعًا وهي م ـمـ ـم مـ ... ولكن شكوانا لا تذكر في جنب شكوى الصينيين فان الصندوق الذي يسع الحروف الصينية يكون فيهِ احد عشر الف بيت لانواع العلامات المختلفة التي تتركب منها الكتابة الصينية واذا عرضت امام مرتب الحروف كلمة ليس لها علامة عندهُ اضطرَّ ان يصنع لها العلامة المناسبة لها فلا عجب اذا كانت كتابة الصينيين من جملة العوائق التي تعيق تقدمهم واقتباسهم العلوم الحديثة

سبك الحديد بالكهربائية

كنا كلما نظرنا في امر مناجم الحديد في جبل لبنان نأسف لانهُ ليس فيهِ فحم حجري صالح لسبك الحديد منها ولا فيهِ وقود كافٍ لذلك مع ان مناجم الحديد التي فيهِ تعدُّ من اغنى المناجم بكثرة حديدها . اما الآن فيظهر لنا ان هذه المسألة يمكن حلُّها على اسهل سبيل وذلك ان على مقربة من مناجم الحديد ينابيع غزيرة الماء كنبع صنين ونبع العسل ونبع اللبن ومياهها تنحدر في بعض الاماكن من ارتفاع شاهق فيمكن توليد قوة منها تقدَّر بمئات من الاحصنة والقوة تتحول الى كهربائية بسهولة والكهربائية تستخرج الحديد من مناجمهِ بما يعرف بالاتاتين الكهربائية فقد جاء في جريدة صدى المعادن والتعدين Echo des Mines et de la Métallurgie انهُ اقيمت ثلاثة اتاتين كهربائية في شمالي ايطاليا قوة كلٍّ منها خمس مئة حصان لاستخراج الحديد . وتبلغ نفقات استخراج الطن من الحديد بهذه الاتاتين ١٨ فرنكًا لا غير

البترول بدل الفحم الحجري

استُعمل البترول بدل الفحم الحجري في بعض السفن البخارية منذ بضع سنوات ولكن السفن التي تقطع الاوقيانوس الكبير لم تستعملهُ الاَّ الآن فقد استعملتهُ الباخرة موركس وسارت بهِ من سنقافورة في اقصى المشرق الى مدينة لندن مارَّة برأس الرجاء الصالح فقطعت مسافة ١١٨٣٠ ميلاً او نحو اثني عشر الف ميل وكانت تحرق كل يوم نحو ثمانية عشر طنًا ولو استعملت الفحم الحجري لاضطرَّت ان تحرق كل يوم نحو اربعة وعشرين اوخمسة وعشرين طنًا من فحم ولش او من ثلاثين الى اثنين وثلاثين طنًا من الفحم الياباني . فمن

استعمال البترول اقتصاد كبير في الوزن والحجم فوق الاقتصاد في العمل

الاسيتيلين

لا يزال استعمال الاسيتيلين لانارة البيوت غير خالٍ من الخطر فقد شاهدنا الآن صورة بيتين كبيرين انفجر الاسيتيلين فيهما فخربهما وقتل بعض سكانهما ولكن يقال ان الاسلوب الذي استنبطهُ الخواجات كلود وهس منذ بضع سنوات وهو اذابة الاسيتيلين بالاسيتون يزيل خطرهُ او يقللهُ كثيراً

سباق الاوتوموبيل

ستتسابق مركبات الاوتوموبيل في اواخر شهر يونيو المقبل بين باريس وفينا فتقوم من باريس في ١٧ يونيو وينتظر ان تصل الى فينا قبل ٢٩ يونيو . ثم تُعرَض المركبات في فينَّا وتعطى الجوائز للسوابق منها . وقد دعت حكومة البوسنه والهرسك اصحاب هذه المركبات لزيارتها بعد ما تصل الى فينا

الصناعة الفرنسوية والاميركية

المشهور ان الصناعة الفرنسوية اكثر اتقاناً من كل صناعة غيرها لكن الفرنسويين يعرفون مواقع الضعف في صناعتهم ويعرفون ان الاميركيين سبقوهم في اتقان المصنوعات وترخيص ثمنها ولذلك عزموا ان ينشئوا لهم مدرسة صناعية في قلب اميركا في مدينة فيلادلفيا يذهب شبانهم اليها ويتعلمون فيها الاساليب الاميركية لعمل المصنوعات على انواعها

اوتوموبيل سلطان مراكش

اطلعنا على صورة الاوتوموبيل الذي صنع لسلطان مراكش وصورتهِ جالساً فيهِ وهو يسير بالغازولين وفيهِ آلة لتبريد الهواء ويقال ان لون دهانهِ اخضر وانهُ مفروش من الداخل بافخر انوع الحرير

صورة المسيح

في كنيسة تورين الكبرى كفن قديم يقال انهُ كفن السيد المسيح نُقل من المشرق الى اوربا في القرن الرابع عشر وعليهِ صورتان يقال انهما صورتا وجه المسيح وظهرهِ وانهما ارتسمتا فيهِ من مجرَّد لفهِ بهِ . وقد صُوّر هذا الكفن حديثاً تصويراً فوتوغرافياً وظهر الرسمان في صورتهِ ووقعت صورة في يد المسيو ڤنيون فرأَى بعد امعان النظر ان الرسمين اللذين في الكفن لا يمكن ان يرسما فيهِ الاَّ بطريقة مثل طريقة التصوير الشمسي ثم جرَّب تجارب كثيرة ليرى ما هي المواد التي اذا دُهن بها النسيج ترسم عليهِ صورة ما يُلَفّ بهِ فوجد انهُ اذا دهن نسيج بالمر كما دهن كفن المسيح فالابخرة التي تصعد من الجسد تؤَثر في المر وتولد فيهِ صورة مثل الصور الفوتوغرافية

هذا ومن المقرَّر الآن ان كل جسم اتَّصل بسطح يمكن التأْثير فيهِ فوتوغرافياً مثل سطح

الواح الجلاتين الحساس اثَّر فيهِ كما يؤَثر نور الشمس ولو كانا في الظلام الدامس ومذوب المر من هذا القبيل فيمكن ان يتأَكسد باتصال جسم الميت بهِ وترتسم عليهِ صورتهُ كما ترتسم الصور على الالواح الفوتوغرافية فمن المحتمل علميًّا ان تكون هاتان الصورتان حقيقتين

اتحاد شركات البواخر

اهم الحوادث التي حدثت في الشهر الماضي اتحاد كثير من شركات البواخر التي تسير بين اوربا واميركا وهذا الاتحاد سيغني الذين دبَّروهُ ويقلل نفقات الادارة ولكنهُ يضيف الاموال التي تعطى لمدبريهِ ومديري الشركات الى رأس المال فيقل الربح الذي يوزَّع على المساهمين فاذا كان رأس المال الذي يوزَّع عليهِ الربح الآن مليونين من الجنيهات واخذ مدبر هذا الاتحاد واصحاب الشركات مليونًا آخر حتى اتموا هذا الاتحاد فلا بدَّ من ان يوزع الربح بعد الآن على ثلاثة ملايين لا على مليونين فيقل ما يصيب السهم الواحد اكثر مما يقتَصد بتوحيد الادارة ولذلك فكبار علماء الاقتصاد لا ينظرون الى هذا الاتحاد بعين الرضى لانهُ يغني اناسًا قليلين على نفقة جمهور كبير من الناس

الاهتمام بداءِ السرطان

اهتمَّ الانكليز في هذه الاثناء اهتمامًا عظيمًا بداءِ السرطان ووعد البعض باعطاء مئة الف جنيه لينفق ريعها على البحث عن اسبابهِ وطرق علاجهِ ويحتمل ان هذا المال يزاد كثيرًا ويقسم اقسامًا ينفق قسم منها كل سنة الى ان يوصل البحث الى السبب الحقيقي الذي ينتج عنهُ هذا الداءُ الخبيث لمنعهِ قبل حدوثهِ والى العلاج الذي يشفيهِ بعد حدوثهِ

احوال الجو في الشهر الماضي

اعلى درجة وصلت اليها الحراوة في القطر المصري في الشهر الماضي (ابريل) ٤٢ في اصوان في ١٧ و ١٨ منهُ واوطأُ درجة ٨ في الجيزة في الرابع والخامس والثالث والعشرين واعلى درجة وصلت اليها الحرارة في السودان ٥٩ في الدويم في ٢٤ الشهر واوطأ درجة ١٢ في وادي حلفا في اول الشهر. ومن ١٧ ابريل الى آخر الشهر كان اعلى درجات الحرارة في الدويم من ٥١ الى ٥٣ ثم وقعت الامطار هناك في الثلاثين من الشهر

حديقة الحيوانات في الجيزة

أُضيف الى حديقة الحيوانات في الجيزة في الشهر الماضي ٢٧ حيوانًا من ذلك ذكر من نوع الادكس وهو من اندر انواع بقر الوحش ولعلَّهُ الحيوان الوحيد الموجود الآن في حدائق الحيوانات أُتي بهِ من دنقله واهداهُ البكباشي هدمن. وأُروية من دنقله ايضًا اهداها الميرالاي مكرل بك . وقنفذة ذات قبَّرة من كردفان اهداها البكباشي قيصر الحاج

وقرد سوداني اهداهُ الدكتور بتر وقرد هندي اهداهُ المستر الفرد دايل . واشترت ادارة الحديقة فهداً ونمراً من السودان وبعض الغزلان والمعزى البرية

العلم والمتفرقعات

مما يذكر بالاسف الشديد ان العلم يستعبد احياناً كثيرة للمصالح الزمنيَّة . ولا يظهر ان هذه الحال تتغير في المستقبل القريب بل قد ظهر من حرب الترنسفال ان الامَّة الانكليزية التي كان رجالها عموماً وعلماؤُها خصوصاً يقبحون الحروب وينادون بوجوب ابطالها صارت تشغل علماءها بالبحث عن المتفرقعات المهلكة وكتم ما يُعرَف عنها ولو كان فيهِ حقائق علمية لكي تستأثر باستعمالها فتزيد حولاً وطولاً . فقد كُتب الي حكومتها من جنوبي افريقية ان الكُرْدَيْت الذي يستعمل الآن في المدافع بدل البارود لانهُ اشد منهُ فعلاً يتلف حديد المدافع ولا يؤمن جانبهُ لانهُ قد يتفرقع على غير انتظار فانتدبت لجنة من اكبر علمائها للبحث عن ذلك وهم اللورد رَيْلي والسر اندرو نوبل والسر وليم كروكس والسر روبرتس اوستن واسماؤُهم كلهم مشهورة عند قرَّاء المقتطف . فبحثت هذه اللجنة بحثاً مدققاً فوجدت ان الكردَيْت يتلف حديد المدافع كما قيل ولا يسهل حفظهُ في اقاليم مختلفة ثم اشارت باستعمال مادة اخرى شديدة الفعل مثلهُ وخالية من عيوبهِ وتركيب هذه المادة سرٌّ مكتوم مثل تركيب الكردَيْت . وسيقر القرار على ابقاء هذه اللجنة للبحث على المتفرقعات فتستبدل خدمة العلم بخدمة الحرب . ولكن يقال انهُ لاشيءَ يبطل الحرب مثل اتقان آلات الحرب حتى يرى الناس ان لا قبَل لهم بمقابلتها فيضطر الضعيف ان يسلم للقوي من غير قتال

ضرر طوابع البريد

اثبتت جريدة اللانست الطبية ان بعض الناس اصيبوا بامراض عضالة كتسمم الدم ونحوهِ من بلهم طوابع البريد بالسنتهم

استئصال الجرذان

رأَت ادارة الصحة في المانيا ان لا بدَّ من استئصال الجرذان من البلاد كلها لكي تأمن غائلة الامراض التي تنتشر بواسطتها وقد انتدبت الدكتور كوخ لاستئصال الجرذان من كل المواني الشرقية

المستشفى المدرسي

أُنشئَ مستشفى في شيكاغو باميركا يعالج فيهِ اولاد الاغنياء الضعاف البنية بالغذاء والرياضة حتى تقوى ابدانهم ويزول ما بهم من الضعف العصبي

المدفع الكهربائي

حاول كثيرون قبل الآن عمل مدفع كهربائي تدفَع قنابلهُ بالكهربائية لا بالبارود

فلم يفلحوا ولكن جاء في السينتفك اميركان ان استاذاً نروجيًّا صنع مدفعاً كهربائيًّا مغنطيسيًّا وجربهُ في مدينة كرستيانا عاصمة نروج فوفى بالغرض وكانت قنبلتهُ تندفع منهُ من غير بارود ومن غير صوت ولا يسمع لها صوت الاَّ حينما تصيب الغرض . وكان وزن القنبلة رطلاً فقط والغرض لوح من الخشب فخرقتهُ خرقاً ويقال ان المخترع يستطيع ان يطلق القنبلة التي وزنها الف رطل ويقذفها الى ابعد ما تصل اليهِ بقوة البارود فاذا صحَّ ذلك كان من اقوى المغيرات لاحوال الحروب

اسرع سكك الحديد

يراد انشاء سكة حديدية جديدة بين مدينة ادنبرج ومدينة غلاسكو يقطعها القطار في ٢٩ دقيقة والمسافة ٤٩ ميلاً فتكون سرعتهُ ١١٧ ميلاً في الساعة

بالون سفرو

يظهر ان البرازيليين سينالون قصب السبق على كل الامم في عمل البالون فقد قام رجل برازيلي آخر في باريس اسمهُ سفرو وصنع بالوناً اصلح من بالون سنتوس ديمون من كل وجه لان مركبتهُ متصلة بكيسهِ اتصالاً متيناً كأنهما قطعة واحدة وطول البالون ٩٣ قدماً وعرضهُ الاطول ٣٨ قدماً وهو كمثري الشكل يسع سبعين الف قدم مكعبة من الغاز ويستطيع ان يحمل نفسهُ ويحمل ايضاً ٣٥٠٠ رطل ولهُ في وسطهِ ثغرة يستقرُّ فيها الجزء الاعلى من المركبة وطول المركبة ٤٦ قدماً وعرضها ثلاث اقدام وفيها آلتان بخاريتان صغيرتان في طرفيها وتحيط بالكيس والمركبة قدد من نسيج متين تمسكهما معاً . ويملأُ كيس هذا البالون بغاز الهيدروجين

اشعة رنتجن والسل

ورد في تلغراف من شيكاغو انهُ قد ثبت بالتجربة ان اشعة رنتجن تقتل الجرثومة الحويصلية في البيضة فلا تفرخ بعد ذلك . وان المجربين يستنتجون ان الشفاء من السل والسرطان بهذه الاشعة يكون دائماً لا وقتيًّا

الكهربائية ودماغ الانسان

ظهر بالامتحان ان المجاري الكهربائية تؤَثر في دقائق الدماغ تأْثيرًا يسمع لهُ صوت احياناً ويقال ان ذلك هو سبب ما يشعر بهِ البعض من الخفقان وقتما يرون وميض البرق

حجم الراس وقوَّة العقل

بحث الدكتور كارل بيرصن عن النسبة بين حجم الراس وقوة العقل في تلامذة مدرسة كامبردج الجامعة فوجد انهُ لا يمكن الاستدلال على قوة العقل من حجم الراس اي ان اصحاب العقول الكبيرة تكون رؤُوسهم كبيرة او صغيرة على حدٍ سوى وكذلك اصحاب العقول المعتدلة تكون رؤُوسهم كبيرة او صغيرة

ديون حكومات اوربا

اذا قسم دين الحكومات المختلفة على عدد النفوس فيها خصَّ النفس في كلٍ منها ما ترى في هذا الجدول

	جنيه	شلن
في البرتغال	٣١	١٢
" فرنسا	٣٠	١٧
" اسبانيا	٢٠	٦
" هولندا	١٨	١١
" بريطانيا	١٦	١٣
" ايطاليا	١٥	١١
" بلجكا	١٥	١١
" اليونان	١٢	١٧
" المجر	١١	٥
" مصر	٩	١٤
" رومانيا	٩	١٣
" السرب	٦	١٥
" روسيا	٦	٣
" تركيا	٦	١
" اميركا	٥	١٨
" النمسا	٥	١٥
" نروج	٤	١٩
" الدنمارك	٤	١٦
" اسوج	٣	١٣
" البلغار	٢	١٥
" المانيا	٢	٢
في اليابان	١	٣
" سويسرا	١	٢

وعليهِ فاثقل دين الحكومة على السكان في بلاد البرتغال وفرنسا واسبانيا واخفهُ في سويسرا واليابان والمانيا ولكن لا بدَّ من اعتبار ثروة السكان ايضاً لان الشعب الكثير الثروة لا يستثقل الدين كالشعب القليل الثروة

بوارج الدول

عند الدول الحربية الآن من البوارج التي من الدرجة الاولى والبوارج التي من الدرجة الثانية والجوالات المدرعة والجوَّالات الكبيرة الموقية ما تري في هذا الجدول وقد عبَّرنا عن البوارج بحرف ب وعن الجوَّالات المدرعة بحرف جم وعن الجوَّالات الموقية الكبيرة بالحروف جمك

	ب ١	ب ٢	جم	جمك
بريطانيا	٢١	١٢	٦	٣٠
فرنسا	٥	٧	٨	٣
روسيا	٢	١٥	٢	٢
المانيا	٦	٤	٢	.
اميركا	٥	٤	.	٤
اليابان	٤	٢	٦	.
ايطاليا	.	٣	٧	٢

ويُرَى من ذلك ان عند بريطانيا من البوارج الكبيرة التي من الطبقة الاولى ٢١ بارجة وعند سائر الدول البحرية ٢٢ بارجة .

وعند بريطانيا من الجوَّالات الكبيرة الموقية ٢٠ جوَّالة وعند سائر الدول ١١ جوَّالة . اما البوارج التي من الدرجة الثانية فعند روسيا منها اكثر ممَّا عند انكلترا وكذلك الجوَّالات المدرعة عند فرنسا منها اكثر ممَّا عند انكلترا . ثم ان انكلترا تبني الآن ست بوارج من الدرجة الاولى وثماني جوَّالات مدرعة

الانتقاد او التحليل

سألنا سائل كريم عن كيف نترجم higher criticism. فاجبناهُ في باب المسائل في هذا الجزء اننا جرينا على ترجمة هاتين الكلمة بكلمة الانتقاد او الانتقاد المحص ونرى الآن اننا لو استعملنا كلمة تحليل لهذا المعنى لكانت اقرب الى المراد لان الغرض من هذا الانتقاد البحث عن كتب التوراة من حيث تأليفها وتاريخها وصحة ما جاء فيها وقد غالى علماء الالمان في هذا الموضوع وتابعهم بعض الانكليز والاميركيين . وكتب القس تشين في جزء يناير من مجلَّة القرن التاسع عشر مقالة مسهبة مبنيَّة على كتاب للعالم ونكلر الالماني قال فيها ان ابرهيم واسحق ويعقوب اسماء معبودات قمرية وضعها الذين كانوا يعبدون القمر وان سارة زوجة ابرهيم هي ابنة القمر ولذلك فهي اخت ابرهيم وان معنى اسم لابان حمي يعقوب القمر ومعنى ليَّا وراحيل الهلال والبدر ومعنى دينة ابنة ليَّا الزهرة وهي واخوتها الستة اسماء ايام الاسبوع . ويوسف معبود شمسي وكذلك داود وشاول اسمان لمعبود قمري وهلم جرًّا من المزاعم التي يصحُّ ان يطلق عليها اسم التحليل او التضليل

هدايا البابا

تقدَّر قيمة الهدايا التي أُهديت الى قداسة البابا في عيد يوبيلهِ بمليونين من الجنيهات ومنها الماسة الكبيرة التي اهداها اليهِ الرئيس كروجر وثمنها ثمانمئة الف جنيه وهي اكبر ماسة في الدنيا ومنها خاتم من جلالة السلطان ثمنهُ عشرون الف جنيه

السل والنور الازرق

جاء في احدى الجرائد النمسوية ان ميكروب السل الرئوي يموت بالنور الازرق في نصف ساعة فيجمع النور الكهربائي الساطع بعدسيَّة زرقاء على صدر المسلول فتخرقهُ اشعة النور الازرق حالاً وتمر على ميكروب السل في رئتيهِ وتقتلهُ . ولم يذكر في هذه الجريدة فعل النور الازرق بخليَّات الجسم لعلها تقتلها كما تقتل ميكروب السل فيكون ضررها اعظم من نفعها

القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن المصري حتى آخر ابريل ٦٤٤٥٠٩٥ قنطارًا يقابلها في العام الماضي ٥٠٥٩٢٥١ قنطارًا فقد ثبت الآن ان الموسم الاخير بلغ ستة ملايين ونصف مليون من القناطير

فهرس الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين

٤٠٩ خرائب الشام (مصوَّرة)
٤١٢ اعظم اكتشاف جيولوجي (مصوَّرة)
٤١٧ ارباب المال والاعمال (مصوَّرة)
٤٢١ حاضر المصريين او سرّ تأخرهم . لخليل افندي ثابت
٤٢٥ الماسونية في فرنسا
٤٢٨ ماذا تود ان تكون
٤٣٠ المرأة الشرقية . لاسعد افندي داغر
٤٣٧ السعي والارتزاق . لاحد المشتركين
٤٤١ عروسة النيل
٤٥٤ الصحيح من الفراسة
٤٥٨ الميكروب المنير
٤٥٩ تجارة القطر المصري
٤٦٥ مخترعات النساء . لنسيم افندي برباري
٤٦٧ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله
٤٧٢ وصيَّة سسل رودس
٤٧٥ المالية المصرية
٤٧٨ فتح المكسيك
٤٨٣ البطريرك بطرس الجريجيري (مصوَّرة)

٤٨٥ باب الصناعة ✲ تلوين النحاس الاصفر . الصفيح المبلور . مطبعة البالوظة
٤٨٨ باب تدبير المنزل ✲ جمال الوجه . وضع النقرد في الفم والميكروبات . ازالة الحبر عن البسط . الثياب الطويلة الاذيال . منع الصدإ وازالتهُ . علاج الاغماء
٤٩١ باب التقريظ والانتقاد ✲ الحضرة الانسية في الرحلة القدسية . تقويم المؤيد تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان . كتاب القواعد الالمانية . تأسيس النظر . تقويم ادارة المساحة
٤٩٠ باب المسائل ✲ الماسونية ومبادئها . اساس الماسونية . كراهة الماسونية تحريك الطاولة . حادثة ناورين . البادئ بها . مطبعة البالوظة . اولاد آدم . انبات شعر الاقرع . نفقات التلامذة . رواية ادبية انتقاد التوراة . الانتقاد . علاج الزهري . تقوية الدم . دخول الوباء مصر
٥٠١ باب الاخبار العلمية ✲ وفيهِ ٤٧ نبذة